مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة السَّادِسَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ:

دَعَائِمِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

مِن أَسْبَابِ الافْتِرَاقِ وَالاخْتِلَافِ أَيْضًا: الجَهْلُ بِمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ، والتَّخرُّصُ عَلَىٰ مَعَانِيهَا بِالظَّنِّ مِن غَيرِ تَثَبُّتٍ، والأخذُ فِيهَا بالنَّظَرِ الأوَّلِ.

قَالَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَمِمَّا يُوَضِّحُ ذَلِكَ مَا خَرَّجَهُ ابْنُ وَهْبٍ عَنْ بُكَيْرٍ أَنَّهُ سَأَلَ نَافِعًا: كَيْفَ كَانَ رَأْيُ ابْنِ عُمَرَ فِي الحَرُورِيَّةِ؟

قَالَ : يَرَاهُمْ شِرَارَ خَلْقِ اللهِ، إِنَّهُمُ انْطَلَقُوا إِلَىٰ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ فِي الكُفَّارِ، فَجَعَلُوهَا عَلَىٰ المُؤْمِنِينَ.

وَهَذَا الأَثَرُ أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ مُعَلَّقًا[1]، وَقَالَ عَنْهُ ابْنُ حَجَرٍ: سَنَدُهُ صَحِيحٌ. وَوَصَلَهُ الطَّبَرِيُّ فِي «تَهْذِيب الآثَار»، وابنُ عَبدِ البَرِّ فِي «التَّمهِيد».

وَفَسَّرَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: مِمَّا تَتَبَّعَ الحَرُورِيَّةُ مِنَ المُتَشَابِهِ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]. وَيَقْرِنُونَ مَعَهَا: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]. فَإِذَا رَأَوُا الإِمَامَ يَحْكُمُ بِغَيْرِ الحَقِّ قَالُوا: قَدْ كَفَرَ، وَمَنْ كَفَرَ؛ عَدَلَ بِرَبِّهِ، وَمَنْ عَدَلَ بِرَبِّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ، فَهَذِهِ الأُمَّةُ مُشْرِكُونَ، فَيَخرُجُونَ، فَيَفعَلُونَ مَا رَأَيتَ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الآيَةَ»[2].

إِنَّ القُرْآنَ نَزَلَ لِيُتَدَبَّرَ، يَعْرِفُ ذَلِكَ أَهْلُ العِلْمِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يُرَدَّ الأَمْرُ إِلَىٰ

(١) «فتح الباري» (١/ ٤٢٥).
(٢) «الاعتصام» (٣/ ١٤٥).

www.menhag-um.com

عَالِمِهِ، وَالإنسَانُ إِذَا مَا سُئِلَ عَنْ شَيءٍ لَا يَعْلَمُهُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: لَا أَدْرِي، وَأَنْ يَكِلَهُ إِلَىٰ عَالِمِهِ.

قَالَ ابْنُ بَطَّة رَحِمَهُ اللَّهُ مُبَيِّنًا بَعْضَ أَسْبَابِ الافْتِرَاقِ: «فَهَذَا يَا أَخِي -رَحِمَكَ اللهُ- مَا ذَكَرَهُ هَذَا العَالِمُ -هُو أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ ذَكَرَ آحَادَ الفِرَقِ عَن بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ- مِنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ الأَهْوَاءِ، وَافْتِرَاقِ مَذَاهِبِهِمْ، وَعِدَادِ فِرَقِهِمْ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ مِن ذَلِكَ مَا بَلَغَهُ وَوَسِعَهُ، وَانْتَهَىٰ إِلَيْهِ عِلْمُهُ، لَا مِنْ طَرِيقِ الاسْتِقْصَاءِ وَالاسْتِيفَاءِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الإِحَاطَةَ بِهِمْ -يَعْنِي بِأَهْلِ الأَهْوَاءِ وَمَذَاهِبِهِمْ- لَا يُقْدَرُ عَلَيْهَا، وَالتَّقَصِّي لِلْعِلْمِ بِهِمْ لَا يُدْرَكُ، وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْ خَالَفَ الجَادَّةَ، وَعَدَلَ عَنِ المَحَجَّةِ، وَاعْتَمَدَ مِنْ دِينِهِ عَلَىٰ مَا يَسْتَحْسِنُهُ فَيَرَاهُ، وَمِنْ مَذْهَبِهِ عَلَىٰ مَا يَخْتَارُهُ وَيَهْوَاهُ، عُدِمَ الاتِّفَاقَ وَالائْتِلَافَ، وَكَثُرَ عَلَيهِ أَهْلُهَا لِمُبَايَنَةِ الاخْتِلَافِ، لِأَنَّ الَّذِي خَالَفَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَنَاظِرِهِمْ، وَهَيْئَاتِهِمْ، وَأَجْسَامِهِمْ، وَأَلْوَانِهِمْ، وَلُغَاتِهِمْ، وَأَصْوَاتِهِمْ، وَحُظُوظِهِمْ، كَذَلِكَ خَالَفَ بَيْنَهُمْ فِي عُقُولِهِمْ، وَآرَائِهِمْ، وَأَهْوَائِهِمْ، وَإِرَادَاتِهِمْ، وَاخْتِيَارَاتِهِمْ، وَشَهَوَاتِهِمْ، فَإِنَّكَ لَا تَكَادُ تَرَىٰ رَجُلَيْنِ مُتَّفِقَيْنِ اجْتَمَعَا جَمِيعًا فِي الاخْتِيَارِ وَالإِرَادَةِ، حَتَّىٰ يَخْتَارَ أَحَدُهُمَا مَا يَخْتَارُهُ الآخَرُ، وَيُرَذِّلُ مَا يُرَذِّلُهُ؛ إِلَّا مَنْ كَانَ عَلَىٰ طَرِيقِ الاتِّبَاعِ، وَاقْتَفَىٰ الأَثَرَ، وَالانْقِيَادِ لِلْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالطَّاعَةِ الدِّيَانِيَّةِ، فَإِنَّ أُولَئِكَ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ شَرِبُوا، فَعَلَيْهَا يَرِدُونَ، وَعَنْهَا يَصْدُرُونَ، قَدْ وَافَقَ الخَلَفُ الغَابِرُ لِلسَّلَفِ الصَّادِرِ»[1]. وَالكُلُّ يَرِدُ

(١) «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١/ ٢٥٧).

www.menhag-un.com

عَلَىٰ عَيْنٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيَأْخُذُونَ ذَلِكَ بِفَهْمِ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

لَقَد بَرَزَتْ رُءُوسُ البِدَعِ الكُبْرَىٰ، الخَوَارِجُ، وَالشِّيعَةُ، وَالقَدَرِيَّةُ، وَالمُرْجِئَةُ، ثُمَّ انشَعَبَتْ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ فِرَقٌ يُضَلِّلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُبَدِّعُ بَعْضُهَا بَعْضًا، بَلْ وَيُكَفِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

وَالخَوَارِجُ وَالشِّيعَةُ فِرْقَتَانِ مُتَقَابِلَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: تُكَفِّرُ عَلِيًّا رضي الله عنه وَتَتَبَرَّأُ مِنهُ.

والأُخْرَىٰ: تَنصُرُهُ وتُؤَيِّدُهُ وَتَغْلُو فِيهِ، إِلَىٰ الحَدِّ الَّذِي بَلَغَتهُ بَعْضُ طَوَائِفِ الشِّيعَةِ مِنَ القَوْلِ بِإِلَهِيَّتِهِ.

وَالخَوَارِجُ وَالمُرْجِئَةُ فِرْقَتَانِ مُتَقَابِلَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: تُكَفِّرُ مُرْتَكِبَ الكَبِيرَةِ، وَتَقُولُ بِخُلُودِهِ فِي النَّارِ.

والأُخْرَىٰ تَقُولُ: لَيسَتْ الأَعْمَالُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ مَحْضُ التَّصدِيقِ.

فَالأُولَىٰ مِن أَهْلِ الغُلُوِّ، وَالثَّانِيَةُ مِن أَهْلِ الجَفَاءِ.

وَالقَدَرِيَّةُ وَالجَبرِيَّةُ فِرْقَتَانِ مُتَقَابِلَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: تَنْفِي القَدَرَ.

وَالثَّانِيَةُ: تَغْلُو فِي الإِثبَاتِ.

www.menhag-un.com

وَظَهَرَتْ بِدَعٌ كَثِيرَةٌ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ كَالجَهْمِيَّةِ، وَالأَشَاعِرَةِ، وَالمُعْتَزِلَةِ، وَلَهُم بِدَعٌ تَتَعَلَّقُ بِالقَدَرِ، وَالوَعِيدِ، وَالإِيمَانِ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَالقَوْلِ بِخَلْقِ القُرآنِ.

وَظَهَرَتْ بِدَعُ الاتِّحَادِيَّةِ وَالحُلُولِيَّةِ وَغَيرِهَا، وَتَشَعَّب مِن هَذِهِ البِدَعِ كُلِّهَا بِدَعٌ كَثِيرَةٌ، وَضَلَّ بِسَبَبِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

وَمَا زَالَت آثَارُ تِلْكَ البِدَعِ مُؤَثِّرَةً، وَمَا زَالَ كَثِيرٌ مِن أُصُولِهَا يَتَرَدَّدُ فِي اعتِقَادِ الفِرَقِ وَالجَمَاعَاتِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا، وَتَنْضَحُ بِهَا مَقَالَاتُهُمْ، وَتَعِجُّ بِهَا كُتُبُهُم.

وَلَقَد حَسِبَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ -بَل اعتَقَدَ- أَنَّ هَذِهِ البِدَعَ صَارَتْ تَارِيخًا يُروَىٰ، وَحِكَايَاتٍ تُقَصُّ، وَزَعَمُوا أَنَّ النَّظَرَ فِي شَيءٍ مِن ذَلِكَ إِنَّمَا هُو نَظَرٌ فِي دَفَائِنِ القُرُونِ عَفَتَ عَلَيهَا السُّنُونُ، وَهُو مَضْيَعَةٌ للأوقَاتِ، وَإِفْنَاءٌ للأعْمَارِ.

وَهَذَا وَهْمٌ كَبِيرٌ!!

وَالحَقُّ أَنَّ آثَارَ تِلْكَ البِدَعِ مَا زَالَتْ فَاعِلَةً فِي عَقَائِدِ كَثِيرٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَالجَهْمِيَّةُ، والأشعَرِيَّةُ، وَالقَدَرِيَّةُ، وَالجَبْرِيَّةُ، وَالمُعتَزِلَةُ، وَالمُرجِئَةُ، وَغَيرُهَا مِن مِلَلِ الضَّلَالِ مَا زَالَتْ أَصْدَاؤُهَا تُدَوِّي فِي عَقَائِدِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ.

وَأَمَّا الرَّوَافِضُ وَالخَوَارِجُ فَقَد مَاجَت بِهِمُ الدُّنيَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ!

وَفِي زَمَانِنَا ظَهَرَتْ فِرَقٌ وَجَمَاعَاتٌ وَأَحْزَابٌ، تَنْتَسِبُ إِلَىٰ السُّنَّةِ، وَتَدْعُو بِزَعْمِهَا إِلَىٰ اللهِ، وَهِي جَمَاعَاتٌ كَثِيرةٌ يَجْمَعُهَا جَمِيعًا مُخَالَفَتُهَا لِمِنْهَاجِ

النُّبُوَّةِ، وَابتِدَاعُهَا فِي دِينِ اللهِ ﷻ.

وَمِن هَذِهِ الفِرَقِ: جَمَاعَةُ الإِخوَانِ المُسْلِمِينَ، وَقَد تَفَرَّعَ عَنْهَا كَثِيرٌ مِن جَمَاعَاتِ الغُلُوِّ، فِي التَّكْفِيرِ، وَفِي سَفْكِ الدِّمَاءِ.

وَمِن هَذِهِ الفِرَقِ: القُطبِيُّونَ، المُنكَبُّونَ عَلَىٰ آثَارِ سَيد قُطْب.

وَمِن هَذِهِ الفِرَقِ: الصُّوفِيَّةُ العَصْرِيَّةُ: جَمَاعَةُ التَّبلِيغِ وَالدَّعوَةِ، وَغَيرُ هَذِهِ الفِرَقِ كَثِيرٌ، وَكَثِيرٌ.

وَهَؤُلَاءِ جَمِيعًا وَقَعُوا فِي أُمُورٍ كَبِيرَةٍ، وَفَرَّقُوا الأُمَّةَ تَفرِيقًا، وَمَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ بِالحُجَّةِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يُقَالُ هُوَ الَّذِي يُفَرِّقُ الأُمَّةَ، وَهَذَا عَجِيبٌ، وَقَدْ صَحَّ فِي هَؤُلَاءِ قَوْلُ القَائِلِ فِي المَثَلِ القَدِيمِ: رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ، وَعِنْدَنَا أَصْلٌ أَصِيلٌ يَنْبَغِي أَنْ نَلْتَفِتَ إِلَيْهِ وَهُوَ: **إِيَّاكَ أَنْ تَحْكُمَ عَلَىٰ جَمَاعَةٍ مِنَ الجَمَاعَاتِ، أَوْ فِرْقَةٍ مِنَ الفِرَقِ بِآثَارِهَا دُونَ النَّظَرِ فِي أُصُولِهَا**، هَذَا لَا يَجُوزُ شَرْعًا.

فَاحْذَرْ أَنْ تَحْكُمَ عَلَىٰ جَمَاعَةٍ مِنَ الجَمَاعَاتِ، أَوْ فِرْقَةٍ مِنَ الفِرَقِ بِآثَارِهَا وَنَتَائِجِهَا، دُونَ النَّظَرِ فِي أُصُولِهَا وَقَوَاعِدِهَا، فَإِنَّ هَذَا خَطَرٌ كَبِيرٌ، لِأَنَّنَا لَوْ حَاكَمْنَا الكُفَّارُ إِلَىٰ الأَصْلِ الفَاسِدِ الَّذِي يَقُولُ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَهُوَ النَّظَرُ إِلَىٰ الآثَارِ دُونَ النَّظَرِ فِي الأُصُولِ، فَمَاذَا يَكُونُ الحُكْمُ؟

يَعْنِي لَوْ نَظَرَ إِلَينَا الكُفَّارُ فَقَالُوا: مُجْتَمَعَاتُكُمْ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، مُجْتَمَعَاتٌ جَاهِلَةٌ مُتَخَلِّفَةٌ، هَابِطَةٌ، تَعُمُّهَا القَذَارَةُ وَالأَمْرَاضُ، وَالغِشُّ وَالخِدَاعُ،

وَالمُخَالَفَاتُ، وَمَا أَشْبَهُ، فَلَوْ قَالُوا: يُحْكَمُ بِآثَارِ الشَّيءِ عَلَىٰ أَصْلِهِ، فَحَكَمُوا بِهَذِهِ الظَّوَاهِرِ عَلَىٰ دِينِ الإِسْلَامِ العَظِيمِ، لَكَانَ الحُكْمُ عِنْدَهُمْ أَنَّ دِينَ الإِسْلَامِ، لَيْسَ بِدِينٍ صَحِيحٍ، لِأَنَّهُمْ لَوْ حَاكَمُونَا إِلَىٰ الآثَارِ وَالنَّتَائِجِ، وَقَالُوا: انْظُرُوا إِلَىٰ مُجْتَمَعَاتِنَا؛ تَنْضَبِطُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ، تَقُولُونَ أَنْتُمْ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ: إِنَّهَا مِنْ دِينِكُمْ، وَمِنْ أَحْكَامِ دِينِكُم، نَلْتَزِمُ نَحْنُ بِهَا، وَلَا نَقُولُ إِنَّهَا مِنْ دِينٍ أَصْلًا، وَلَكِنَّهَا ضَابِطَةٌ لِلْمُجْتَمَعَاتِ، انْظُرُوا إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الرَّفَاهِيَةِ وَالتَّقَدُّمِ، وَامْتِلَاكِ أَسْبَابِ القُوَّةِ، وَانْظُرُوا إِلَىٰ أَنْفُسِكُمْ فِي تَخَلُّفِكُمْ وَقَذَارَةِ مُجْتَمَعَاتِكُمْ، وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ التَّخَلُّفِ، وَالتَّدَنِّي، وَالضَّعْفِ وَالمَذَلَّةِ.

لَوْ حَاكَمُونَا بِهَذِهِ النَّتَائِجِ، وَحَاكَمُونَا لِنَتَائِجِ مَا هُمْ عَلَيْهِ، لَقَضَوْا ظُلْمًا وَبُهتَانًا بِأَنَّ الدِّينَ غَيْرُ صَالِحٍ، وَأَنَّهُ سَبَبُ التَّخَلُّفِ كَمَا يَقُولُ كَثِيرٌ مِنَ الزَّائِغِينَ.

والحَقُّ والعدلُ أنَّه لَا يُحْكَمُ عَلَىٰ الشَّيءِ بِآثَارِهِ وَنَتَائِجِهِ، دُونَ النَّظَرِ فِي أُصُولِهِ وَقَوَاعِدِهِ.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْجَمَاعَاتِ انْتَشَرَ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ خَيْرٌ، وَهُمْ يُسَاعِدُونَ المُحْتَاجِينَ، وَاليَتَامَىٰ، وَالأَرَامِلَ، وَمَا أَشْبَهُ ذَلِكَ مِنْ أُصُولِ الخَيْرِ، وَفِعْلِ المَعْرُوفِ، فَالنَّتِيجَةُ: هُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ.

فَقُلْ: الجَمَاعَاتُ التَّنْصِيرِيَّةُ تَفْعَلُ هَذَا وَأَكْثَرَ مِنْهُ، فَهَلْ هِيَ صَالِحَةٌ فِي أُصُولِهَا؟ هَلْ تُتَّبَعُ؟ هَلْ يُغَضُّ الطَّرْفُ عَنْهَا؟

لَا نَنْظُرُ فِي صَلَاحِ الرَّجُلِ لِلْحُكْمِ عَلَىٰ انْتِمَائِهِ؛ فَهَذَا ثَانِي الرَّجُلَينِ اللَّذَيْنِ أَسَّسَا مَذْهَبَ المُعْتَزِلَةِ، وَأَصَّلَا أُصُولَ البِدْعَةِ، وَهُو عَمْرُو بنُ عُبَيدٍ، كَانَ كَبِيرَ القَدْرِ، رَفِيعَ المَقَامِ عِندَ المَنْصُورِ، حَتَّىٰ إنَّه رَثَاهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَقَالَ فِيهِ مَدِيحًا فِي حَيَاتِهِ.

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ المَنْصُورُ يُعَظِّمُ ابنَ عُبَيدٍ، وَيَقُولُ:

كُلُّكُمْ يَمْشِي رُوَيْدْ ... كُلُّكُمْ يَطْلُبُ صَيْدْ

غَيْرَ عَمْرِو بنِ عُبَيْدْ

اغتَرَّ بِزُهْدِهِ، وَإِخْلَاصِهِ، وَأَغْفَلَ بِدْعَتَهُ»[1].

وَذَكَر ابنُ كَثِيرٍ أنَّ المَنْصُورَ كَانَ يَطْلُبُ مِن عَمْرِو بنِ عُبَيدٍ أَن يَعِظَهُ، وَيَبْكِي لِمَوعِظَتِهِ، ويُفَخِّمُ حَالَهُ، وَيُعَظِّمُ أَمرَهُ[2].

وَكَانَ عَمرُو بنُ عُبَيدٍ مِن أَضَلِّ خَلْقِ اللهِ، رَأْسًا مِن رُءُوسِ المُعْتَزِلَةِ، دَاعِيَةً للبِدْعَةِ وَالضَّلَالِ.

وَهَل خُدِعَ الأئمَّةُ بِزُهْدِ الحَارِثِ المُحَاسِبِيِّ وَوَعظِهِ؟

قَالَ الإمَامُ أَحْمَدُ لِعَلِيِّ بن أبي خَالِدٍ: «لَا تُجَالِسْهُ، وَلَا تُكَلِّمْهُ»؛ يَعنِي: الحَارِثَ المُحَاسِبِيَّ.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٠٥).

(٢) «البداية والنهاية» (١٠/ ١٢٦).

www.menhag.com

وَقَالَ لِجَارٍ لِعَلِيِّ بنِ أبي خَالِدٍ، كَانَ حَسَنَ الرَّأي فِي الحَارِثِ: «ذَاكَ لَا يَعرِفُهُ إِلَّا مَنْ قَد خَبَرَهُ وَعَرَفَهُ، ذَاكَ جَالَسَهُ المغَازِلِيُّ وَيَعقُوبُ وَفُلَانٌ فَأَخْرَجَهُم إِلَىٰ رَأْيِ جَهْمٍ، هَلَكُوا بِسَبَبِهِ.

فَقَالَ لَهُ الشَّيخُ: يَا أَبَا عَبدِ الله، يَرْوِي الحَدِيثَ، سَاكِنٌ خَاشِعٌ، مِن قِصَّتِهِ وَمِن قصَّتِهِ.

فَغَضَبَ أَبُو عبد الله، وَجَعَل يَقُولُ: لَا يَغُرَّكَ خُشُوعُهُ وَلِينُهُ، وَيَقُولُ: لَا تَغْتَرَّ بِتَنْكِيسِ رَأْسِهِ؛ فَإِنَّه رَجُلُ سُوءٍ، ذَاكَ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ قَد خَبَرَهُ، لَا تُكَلِّمه وَلَا كَرَامَةَ لَهُ، كُلُّ مَنْ حَدَّثَ بِأَحَادِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ مُبتَدِعًا تَجْلِسُ إِلَيهِ؟ لَا، وَلَا كَرَامَةَ، وَلَا نُعْمَىٰ عَينٍ، وَجَعَلَ يَقُولُ: ذَاكَ. ذَاكَ»[1].

فَتَأَمَّل كَيْفَ لَم يَعْبَأ أَحْمَد رَحِمَهُ اللهُ بِحَسَنَاتِهِ، وَكَيْفَ جَرَحَهُ!

وَقَالَ البَرذَعِيُّ: «شَهِدتُ أَبَا زُرْعَة سُئِلَ عَنِ الحَارِثِ المُحَاسِبِيِّ وَكُتُبِهِ، فَقَالَ للسَّائِلِ: إِيَّاكَ وَهَذِهِ الكُتُبَ، هَذِهِ كُتُبُ بِدَعٍ وَضَلَالَاتٍ، عَلَيكَ بِالأَثَرِ، فَإِنَّكَ تَجِدُ فِيهِ مَا يُغنِي عَن هَذِهِ الكُتُبِ.

قِيلَ لَهُ: فِي هَذِهِ الكُتُبِ عِبْرَةٌ.

قَالَ: مَنْ لَم يَكُن لَهُ فِي كِتَابِ اللهِ عِبْرَةٌ، فَلَيسَ لَهُ فِي هَذِهِ الكُتُبِ عِبْرَةٌ، بَلَغَكُم أَنَّ مَالِكَ بنَ أنسٍ، وَسُفيَانَ الثَّورِيَّ، وَالأوزاعِيَّ، والأئِمَّةَ المُتَقَدِّمِينَ

(١) «طبقات الحنابلة» لأبي يعلي (١/ ٢٣٣).

صَنَّفُوا هَذِهِ الكُتُبَ فِي الخَطَرَاتِ، وَالوَسَاوِسِ، وَهَذِهِ الأَشيَاءِ؟!

هَؤُلَاءِ قَوْمٌ خَالَفُوا أَهْلَ العِلْمِ؛ فَأَتَوْنَا مَرَّةً بِالحَارِثِ المُحَاسبيِّ، وَمَرَّةً بِعَبدِ الرَّحِيمِ الديبليِّ، وَمَرَّةً بِحَاتِمٍ الأَصَمِّ، وَمَرَّةً بِشَقِيقٍ البَلْخِيِّ.

ثُمَّ قَالَ: مَا أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَىٰ البِدَعِ»(١).

وَهَل خُدِعَ الأَئِمَّة بِوَعْظِ مَنصُورِ بنِ عَمَّارٍ وَتَذْكِيرِه؟

قَالَ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عنهُ: «كَانَ عَدِيمَ النَّظِيرِ فِي المَوْعِظَةِ وَالتَّذكِيرِ ... وبَعُدَ صِيتُهُ، وَتَزَاحَمَ عَلَيهِ الخَلْقُ، وَكَانَ يَنْطَوِي عَلَىٰ زُهْدٍ وَتَأَلُّهٍ وَخَشْيَةٍ، وَلِوَعْظِهِ وَقْعٌ فِي النُّفُوسِ.

قَالَ أَبُو بَكْرِ بنُ أَبِي شَيْبَةَ: كُنَّا عِندَ ابنِ عُيينَةَ، فَسَأَلَهُ مَنصُورُ بنُ عَمَّارٍ عَنِ القُرآنِ، فَزَبَرَهُ، وَأَشَارَ إِلَيهِ بِعُكَّازِهِ، فَقِيلَ: يَا أَبَا مُحَمَّد، إِنَّهُ عَابِدٌ. فَقَالَ: مَا أُرَاهُ إِلَّا شَيْطَانًا.

وَقَالَ ابنُ عَدِيٍّ: حَدِيثُهُ مُنكَرٌ.

وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: صَاحِبُ مَوَاعِظَ لَيْسَ بِالقَوِيِّ»(٢).

وَقَالَ العُقَيلِيُّ فِي «الضُّعفَاء»: «مَنصُورُ بنُ عَمَّارٍ القَاصُّ، لَا يُقِيمُ الحَدِيثَ،

(١) «سؤالات البرذعي» (ص٥٦١).
(٢) «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٩٣).

www.menhag-un.com

وَكَانَ فِيهِ تَجَهُّمٌ»[1].

فَلَا يُحْكَمُ عَلَىٰ الشَّيءِ بِنَتَائِجِهِ، وَيُقَالُ: إِنَّ أُصُولَهُ تَكُونُ صَحِيحَةً حَتْمًا؛ لِأَنَّ هَذِهِ النَّتَائِجَ مُثْمِرَةٌ وَمُبْهِرَةٌ.

قَدْ يُفَرِّطُ أَهْلُ الحَقِّ فِي الأُصُولِ الَّتِي يَنْتَمُونَ إِلَيْهَا، وَالَّتِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَمَسَّكُوا بِهَا، كَمَا يَصْنَعُ المُسْلِمُونَ الآنَ، فَهُمْ بِلَا خِلَافٍ فَوْقَ جَمِيعِ أَهْلِ المِلَلِ وَالنِّحَلِ، لِأَنَّهُمْ عَلَىٰ الدِّينِ الحَقِّ، يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَلَكِنَّهُمْ يَتَخَلَّونَ عَنْ كَثِيرٍ مِن دِينِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- تَطْبِيقًا فِي أَنْفُسِهِمْ وَفِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ، وَيَقَعُ لِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الشُّرُورِ.

فَإِذَا قِيلَ: إِنَّنَا نَحْكُمُ عَلَىٰ المُجْتَمَعَاتِ المُسْلِمَةِ، بِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ التَّخَلُّفِ وَالضَّعْفِ، فَنَحْكُمُ بِذَلِكَ عَلَىٰ الدِّينِ الَّذِي تَنْتَمِي إِلَيْهِ تِلْكَ المُجْتَمَعَاتُ، إِذَنْ، لَوْ كَانَ دِينًا صَالِحًا لَكَانُوا صَالِحِينَ!! هَذَا خَطَأٌ، بَلْ خَطِيئَةٌ.

فَحَذَارِ أَنْ تَنْظُرَ إِلَىٰ الرَّجُلِ يَنْتَمِي انْتِمَاءً بِدْعِيًّا وَتَرَاهُ صَالِحًا، وَتَجِدُهُ بَاذِلًا لِلْمَعْرُوفِ، وَتَجِدُهُ دَائِمَ السَّعْيِ فِي الخَيْرِ، فَيَلْتَبِسُ عَلَيْكَ أَمْرُهُ، فَتَغُضَّ الطَّرْفَ عَن بِدْعَتِهِ آخِذًا بِمَنْهَجِ المُوازَنَاتِ، فَهَذَا ضَلَالٌ مُبِينٌ.

وَقَدْ اغْتَرَّ بَعْضُ الْمُنْتَسِبِينَ لِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَالدَّعْوَةِ، بِجَمَاعَةِ التَّبْلِيغِ؛ لِأَسْبَابٍ كَهَذِهِ، مِنْهَا:

(١) «الضعفاء» للعقيلي (٤/ ١٩٣).

www.menhag-un.com

١ - اجْتِهَادُهُمْ فِي الدَّعْوَةِ، وَبَذْلُ الْمَجْهُودِ فِيهَا:

وَلَكِنَّ هَذَا النَّشَاطَ وَالْخُرُوجَ لَهُ غَايَةٌ وَهَدَفٌ غَيْرُ مَرْضِيٍّ، وَهُوَ: ضَمُّ هَؤُلَاءِ الْأَتْبَاعِ إِلَىٰ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ، وَعَقْدُ الصِّلَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقِيَادَاتِ الصُّوفِيَّةِ الْعُلْيَا لِلْجَمَاعَةِ.

٢- مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الرَّقَائِقِ وَالْمَوَاعِظِ:

وَلَيْسَ لِهَذَا مِنْ فَائِدَةٍ، لِأَنَّ الْغَرَضَ هُوَ التَّمْكِينُ لِجَمَاعَةٍ صُوفِيَّةٍ قَبْرِيَّةٍ خُرَافِيَّةٍ، وَهُمْ لَا يَقْبَلُونَ مُشَارَكَةً فِي تَوْجِيهِ أَتْبَاعِهِمْ، وَلَوْ كَانَتْ مِمَّنْ رَسَخَ فِي الْعِلْمِ قَدَمَاهُ.

٣- كَثْرَةُ مَنْ يَهْتَدِي عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ:

وَهَذَا أَيْضًا لَيْسَ بِالَّذِي يُفْرَحُ بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ يُتَوِّبُونَهُمْ مِنَ الْمَعْصِيَةِ إِلَىٰ الْبِدْعَةِ، وَطَوَائِفُ أَهْلِ الْبِدَعِ يَتُوبُ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ هَذَا، وَلَا يَجْعَلُ بَاطِلَهُمْ حَقًّا، وَلَا مُنْكَرَهُمْ مَعْرُوفًا، وَلَا شِرْكَهُمْ تَوْحِيدًا.

وَهَلْ إِذَا احْتَجَّ الرَّوَافِضُ بِأَنَّهُمْ يُسْلِمُ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ أَقْوَامٌ، هَلْ نَقْبَلُ مِنْهُمْ احْتِجَاجَهُمْ؟ وَهَلْ يُغَيِّرُ هَذَا شَيْئًا مِنْ وَصْفِهِمْ بِالشِّرْكِ وَالْبِدْعَةِ وَالضَّلَالِ؟!

٤-كَثْرَةُ الْأَتْبَاعِ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ اجْتِمَاعَهُمُ السَّنَوِيَّ:

وَالْعِبْرَةُ لَيْسَتْ بِالْكَثْرَةِ، بَلْ الْعِبْرَةُ بِمُوَافَقَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، وَالْكَثْرَةُ إِذَا لَمْ تَكُنْ بِهَذَا الْوَصْفِ، فَهِيَ مَذْمُومَةٌ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن

﴿تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»(١).

قَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رحمه الله: «فَدَعْوَةُ جَمَاعَةِ التَّبْلِيغِ صُوفِيَّةٌ عَصْرِيَّةٌ، تَدْعُو إِلَىٰ الْأَخْلَاقِ، أَمَّا إِصْلَاحُ عَقَائِدِ الْمُجْتَمَعِ؛ فَهُمْ لَا يُحَرِّكُونَ سَاكِنًا؛ لِأَنَّ هَذَا - بِزَعْمِهِمْ- يُفَرِّقُ.

وَقَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ: إِنَّ هَذِهِ الْجَمَاعَةَ عَادَ بِسَبَبِ جُهُودِ أَفْرَادِهَا الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ، بَلْ وَرُبَّمَا أَسْلَمَ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ أُنَاسٌ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، أَفَلَيْسَ هَذَا كَافِيًا فِي جَوَازِ الْخُرُوجِ مَعَهُمْ وَالْمُشَارَكَةِ فِيمَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ؟

فَنَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ نَعْرِفُهَا وَنَسْمَعُهَا كَثِيرًا، وَنَعْرِفُهَا مِنَ الصُّوفِيَّةِ، فَمَثَلًا يَكُونُ هُنَاكَ شَيْخٌ عَقِيدَتُهُ فَاسِدَةٌ وَلَا يَعْرِفُ شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ، بَلْ وَيَأْكُلُ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ...، وَمَعَ ذَلِكَ فَكَثِيرٌ مِنَ الْفُسَّاقِ يَتُوبُونَ عَلَىٰ يَدَيْهِ...!

فَكُلُّ جَمَاعَةٍ تَدْعُو إِلَىٰ خَيْرٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ تَبَعٌ، وَلَكِنْ نَحْنُ نَنْظُرُ إِلَىٰ الصَّمِيمِ، إِلَىٰ مَاذَا يَدْعُونَ؟ هَلْ يَدْعُونَ إِلَىٰ اتِّبَاعِ كِتَابِ اللهِ وَحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَقِيدَةِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَعَدَمِ التَّعَصُّبِ لِلْمَذَاهِبِ، وَاتِّبَاعِ

(١) البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠).

www.menhag-un.com

السُّنَّةِ حَيْثُمَا كَانَتْ، وَمَعَ مَنْ كَانَتْ؟!

فَجَمَاعَةُ التَّبْلِيغِ لَيْسَ لَهُمْ مَنْهَجٌ عِلْمِيٌّ، وَإِنَّمَا مَنْهَجُهُمْ حَسَبَ الْمَكَانِ الَّذِي يُوجَدُونَ فِيهِ، فَهُمْ يَتَلَوَّنُونَ بِكُلِّ لَوْنٍ»[1].

وَكَذَلِكَ وَقَعَ الِاغْتِرَارُ بِجَمَاعَةِ الْإِخْوَانِ الْمُسْلِمِينَ، لِمَا كَانَ مِنْ آثَارِ جُهُودِ مُؤَسِّسِهَا فِي الدَّعْوَةِ، وَلِمَا لَهَا مِنْ آثَارٍ فِي بَعْضِ الْمَجَالَاتِ.

وَأَمَّا مَا اعْتَقَدَهُ الْمُؤَسِّسُ -غَفَرَ اللهُ لَهُ- مِنْ عَقَائِدِ الصُّوفِيَّةِ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ تَفْوِيضِ مَعَانِي صِفَاتِ اللهِ ﷻ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ: «وَنَحْنُ نَعْتَقِدُ أَنَّ رَأْيَ السَّلَفِ مِنَ السُّكُوتِ وَتَفْوِيضِ عِلْمِ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَىٰ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَسْلَمُ وَأَوْلَىٰ بِالِاتِّبَاعِ حَسْمًا لِمَادَّةِ التَّأْوِيلِ وَالتَّعْطِيلِ»[2].

وَكَلَامُهُ فِيهِ اعْتِقَادُهُ أَنَّ رَأْيَ السَّلَفِ السُّكُوتُ وَتَفْوِيضُ عِلْمِ هَذِهِ الْمَعَانِي إِلَىٰ اللهِ، وَهَذَا مَعْنَاهُ: أَنَّ الْإِيمَانَ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ هُوَ مُجَرَّدُ الْإِيمَانِ بِأَلْفَاظِ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا مِنْ غَيْرِ فِقْهٍ لِمَعَانِيهَا، وَهَذَا مِنَ التَّقَوُّلِ عَلَىٰ السَّلَفِ بِلَا عِلْمٍ.

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «فَتَبَيَّنَ أَنَّ قَوْلَ أَهْلِ التَّفْوِيضِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مُتَّبِعُونَ لِلسُّنَّةِ وَالسَّلَفِ، مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْإِلْحَادِ»[3].

---

(١) «الفتاوىٰ الإماراتية» (ص٧٣).

(٢) «مجموع رسائل البنا» رسالة العقائد (٤٩٨).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٢٠٥).

www.menhag-um.com

وَلَقَدْ أَنْكَرَ الْمُؤَسِّسُ بِغَيْرِ دَلِيلٍ: الْمَهْدِيَّ وَخُرُوجَهُ، فَقَالَ: «مِنْ حُسْنِ الْحَظِّ لَمْ نَرَ فِي السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ مَا يُثْبِتُ دَعْوَىٰ الْمَهْدِيِّ، وَإِنَّمَا أَحَادِيثُهُ تَدُورُ عَلَىٰ الضَّعْفِ وَالْوَضْعِ».

قَالَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ وَاسْتَفَاضَتْ بِكَثْرَةِ رُوَاتِهَا عَنِ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ بِمَجِيءِ الْمَهْدِيِّ، وَأَنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَأَنَّهُ يَخْرُجُ مَعَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيُسَاعِدُهُ عَلَىٰ قَتْلِ الدَّجَّالِ، وَأَنَّهُ يَؤُمُّ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَعِيسَىٰ يُصَلِّي خَلْفَهُ»[1].

وَعَقِيدَةُ الْوَلَاءِ وَالْبَرَاءِ عِنْدَ الْمُؤَسِّسِ وَالْجَمَاعَةِ بَاهِتَةٌ وَلَا مَعَالِمَ لَهَا.

وَقَدْ قَالَ الْمُؤَسِّسُ فِيمَا نَقَلَهُ عَنْهُ مَحْمُودُ عَبْدِ الْحَلِيمِ: «فَأُقَرِّرُ أَنَّ خُصُومَتَنَا لِلْيَهُودِ لَيْسَتْ دِينِيَّةً؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ حَضَّ عَلَىٰ مُصَافَاتِهِمْ وَمُصَادَقَتِهِمْ، وَالْإِسْلَامُ شَرِيعَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ شَرِيعَةً قَوْمِيَّةً، وَقَدْ أَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ وَجَعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ اتِّفَاقًا ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. وَحِينَمَا أَرَادَ الْقُرْآنَ أَنْ يَتَنَاوَلَ مَسْأَلَةَ الْيَهُودِ تَنَاوَلَهَا مِنَ الْوُجْهَةِ الِاقْتِصَادِيَّةِ وَالْقَانُونِيَّةِ»[2].

وَقَدْ كَانَ يُشَدُّ الرِّحَالَ إِلَىٰ الْقُبُورِ، كَمَا فِي «مُذَكِّرَاتِهِ»[3]، وَكَانَ صُوفِيًّا

(١) «السلسلة الصحيحة» (٥/ ٣٧٢).

(٢) «أحداث صنعت التاريخ» لمحمود عبد الحليم (١/ ٤٠٩).

(٣) «مذكرات الدعوة والداعية» (ص٣٣).

مُمَجِّدًا لِلتَّصَوُّفِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: «نِظَامُ الدَّعْوَةِ فِي هَذَا الطَّوْرِ صُوفِيٌّ بَحْتٌ مِنَ النَّاحِيَةِ الرُّوحِيَّةِ»(١).

وَانْطِلَاقًا مِنْ قَاعِدَةِ التَّعَاوُنِ وَالْمَعْذِرَةِ، «نَتَعَاوَنُ فِيمَا اتَّفَقْنَا عَلَيْهِ، وَيَعْذُرُ بَعْضُنَا بَعْضًا فِيمَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ»، تَمَّ التَّقَارُبُ مَعَ الرَّوَافِضِ، وَوَقَعَتِ الْمُوَالَاةُ لَهُمْ، وَغُضَّ الطَّرْفُ عَنْ تَكْفِيرِهِمْ لِلْأَصْحَابِ إِلَّا قَلِيلًا، وَسَبِّهِمْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَطَعْنِهِمْ فِي الْقُرْآنِ، وَتَكْفِيرِهِمْ لِأَهْلِ السُّنَّةِ، وَغُلُوِّهِمْ فِي عَلِيٍّ وَآلِ الْبَيْتِ، وَخِيَانَاتِهِمْ عَلَىٰ مَدَارِ التَّارِيخِ لِلْأُمَّةِ...

وَفِي الْمُقَابِلِ يُحَارِبُ الْإِخْوَانُ الْمُسْلِمُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَيَفْتَرُونَ عَلَيْهِمْ الْأَكَاذِيبَ، وَلَا يُنْزِلُونَهُمْ مَنْزِلَةَ الرَّوَافِضِ فِي التَّقْرِيبِ وَالْوَلَاءِ!!

وَأَمَّا دَعْوَتُهُمْ إِلَىٰ الْحِزْبِيَّةِ، فَقَدْ فَرَّقَتِ الْأُمَّةَ، وَشَتَّتِ الْكَلِمَةَ، وَحَوَّلَتِ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ أَحْزَابٍ وَشِيَعٍ.

وَقَدْ سُئِلَتِ اللَّجْنَةُ الدَّائِمَةُ لِلْبُحُوثِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْإِفْتَاءِ سُؤَالًا نَصُّهُ: مَا حُكْمُ الْإِسْلَامِ فِي الْأَحْزَابِ، مِثْلِ حِزْبِ الْإِخْوَانِ وَالتَّبْلِيغِ؟

فَأَجَابَتِ اللَّجْنَةُ بِقَوْلِهَا: «لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَفَرَّقَ الْمُسْلِمُونَ فِي دِينِهِمْ شِيَعًا وَأَحْزَابًا، يَلْعَنُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَضْرِبُ بَعْضُهُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، فَإِنَّ هَذَا التَّفَرُّقَ مِمَّا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ، وَذَمَّ مَنْ أَحْدَثَهُ أَوْ تَابَعَ أَهْلَهُ، وَتَوَعَّدَ فَاعِلِيهِ بِالْعَذَابِ الْعَظِيمِ،

(١) «رسالة التعاليم» (ص١٢).

www.menhag-un.com

وَقَدْ تَبَرَّأَ اللهُ وَرَسُولُهُ ﷺ مِنْهُ...»[١].

وَسُئِلَ الشَّيْخُ ابْنُ بَازٍ رَحِمَهُ اللهُ سُؤَالًا نَصُّهُ: هَلْ جَمَاعَةُ التَّبْلِيغِ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ شِرْكِيَّاتٍ وَبِدَعٍ، وَجَمَاعَةُ الْإِخْوَانِ عَلَىٰ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ تَحَزُّبٍ وَشَقِّ الْعَصَا، هَلْ هَاتَانِ الْفِرْقَتَانِ تَدْخُلَانِ فِي الْفِرَقِ الْهَالِكَةِ؟

الْجَوَابُ: «تَدْخُلُ فِي الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ، وَمَنْ خَالَفَ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ دَخَلَ فِي الثِّنْتَيْنِ... الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «...أُمَّتِي...»؛ أَيْ: فِي حَدِيثِ الِافْتِرَاقِ؛ أَيْ: أُمَّةَ الْإِجَابَةِ، اسْتَجَابُوا لَهُ، وَأَظْهَرُوا اتِّبَاعَهُمْ لَهُ، ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً، النَّاجِيَةُ السَّلِيمَةُ الَّتِي اتَّبَعَتْهُ، وَاسْتَقَامَتْ عَلَىٰ دِينِهِ، وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ فِرْقَةً فِيهِمُ الْكَافِرُ، وَفِيهِمُ الْعَاصِي، وَفِيهِمُ الْمُبْتَدِعُ.

قَالَ السَّائِلُ: يَعْنِي هَاتَانِ الْفِرْقَتَانِ [كَذَا] مِنْ ضِمْنِ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ؟

الْجَوَابُ: نَعَمْ، مِنْ ضِمْنِ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ، وَالْمُرْجِئَةُ، وَالْخَوَارِجُ، بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ يَرَىٰ الْخَوَارِجَ مِنَ الْكُفَّارِ؛ خَارِجِينَ، لَكِنْ دَاخِلِينَ فِي عُمُومِ الثِّنْتَيْنِ وَالسَّبْعِينَ»[٢].

وَقَدْ سُئِلَ الشَّيْخُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ عَنْ تَعَدُّدِ الْجَمَاعَاتِ وَالتَّنْظِيمَاتِ، وَعَنْ حُكْمِ ذَلِكَ، فَذَكَرَ آيَاتٍ، وَحَثَّ عَلَىٰ الِالْتِزَامِ بِمَنْهَجِ السَّلَفِ، وَحَذَّرَ مِنْ

(١) «فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» (٢/ ١٤٤).

(٢) «المجلة السلفية»، العدد السابع سنة ١٤٢٢هـ، نقلًا عن درس شرح «المنتقىٰ» بمدينة الطائف. قبل موت الشيخ بسنتين أو تنقصان قليلًا.

www.minhaj.com

مُخَالَفَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لِذَلِكَ نَعْتَقِدُ جَازِمِينَ أَنَّ كُلَّ جَمَاعَةٍ لَا تَقُومُ عَلَىٰ هَذَا الْأَسَاسِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَفْقَ دِرَاسَةٍ وَاسِعَةٍ جِدًّا، مُحِيطَةٍ بِكُلِّ أَحْكَامِ الْإِسْلَامِ، كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا، أُصُولِهَا وَفُرُوعِهَا، فَلَيْسَتْ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ مِنَ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ مِنَ الَّتِي تَسِيرُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ...

هَذِهِ الْأَحْزَابُ لَا نَعْتَقِدُ أَنَّهَا عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ بَلْ نَجْزِمُ بِأَنَّهَا عَلَىٰ تِلْكَ الطُّرُقِ الَّتِي عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ طَرِيقٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ»[1].

وَسُئِلَ الشَّيْخُ الْعُثَيْمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَلْ هُنَاكَ نُصُوصٌ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ فِيهَا إِبَاحَةُ تَعَدُّدِ الْجَمَاعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ؟

فَأَجَابَ: «لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ذَلِكَ، بَلْ إِنَّ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَا يَذُمُّ ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْأَحْزَابَ تَتَنَافَىٰ مَعَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، بَلْ مَا حَثَّ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المؤمنون: ٥٢].

وَتَعَدُّدُ الْجَمَاعَاتِ ظَاهِرَةٌ مَرَضِيَّةٌ، وَلَيْسَ ظَاهِرَةً صَحِيَّةً»[2].

وَقَدْ قَالَ الْعَلَّامَةُ الْمُحَدِّثُ أَحْمَد شَاكِر: «الْإِخْوَانُ الْمُسْلِمُونَ خَوَارِجُ الْعَصْرِ»[3].

وَمَا ذَكَرْتُهُ مِنْ فَتَاوَىٰ الْعُلَمَاءِ هُنَا فِي الْإِخْوَانِ وَالتَّبْلِيغِ وَسَائِرِ

(١) «فتاوىٰ الشيخ الألباني» (ص١٠٦-١١٤).

(٢) «الصحوة الإسلامية» (ص١٥٤).

(٣) «مجلة الأصالة» العدد (٤٠) (ص١١).

www.menhaj.com

الْجَمَاعَاتِ، إِنَّمَا هُوَ كَالْإِشَارَةِ إِلَىٰ مَا وَرَاءَهُ لِمَنْ تَتَبَّعَهُ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَقَدْ وَقَعَ الِاغْتِرَارُ أَيْضًا بِسَيِّدٍ قُطْب وَآرَائِهِ، وَتَعَصَّبَ لِسَيِّدٍ وَآرَائِهِ أَقْوَامٌ، وَعَقَدُوا عَلَىٰ ذَلِكَ الْوَلَاءَ وَالْبَرَاءَ، وَقَامَتْ عَلَىٰ تِلْكَ الْآرَاءِ جَمَاعَاتٌ لَمْ تَنْظُرْ فِي حَقِيقَةِ مَا تَرَكَ الرَّجُلُ بِعَرْضِهِ عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ فَهْمِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَإِنَّمَا أَزَّ كَثِيرًا مِمَّنْ تَبِعَهُ عَلَىٰ اتِّبَاعِهِ مَا كَانَ مِنْ نِهَايَتِهِ -غَفَرَ اللهُ لَهُ-، وَقَالُوا: مَاتَ فِي سَبِيلِ الدِّفَاعِ عَنِ الْعَقِيدَةِ.

وَأَقُولُ: أَمْرُهُ إِلَىٰ اللهِ، وَقَدْ أَفْضَىٰ إِلَىٰ مَا قَدَّمَ، وَلَعَلَّهُ حَطَّ رَحْلَهُ فِي الْجَنَّةِ مُنْذُ مَاتَ، وَلَيْسَ لِهَذَا عَلَاقَةٌ بِمَا نَحْنُ فِيهِ، فَنَحْنُ لَا نَبْحَثُ فِي مَصِيرِهِ، وَمَا آلَ إِلَيْهِ، وَنَتَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مُسْلِمٍ فِي الْجَنَّةِ، نُحِبُّ ذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا؛ لِأَنَّنَا نُحِبُّ لِلْمُسْلِمِينَ مَا نُحِبُّ لِأَنْفُسِنَا.

وَلَكِنْ، لَسْنَا نَبْحَثُ فِي مَصَائِرِ الْخَلْقِ عِنْدَ الْحَقِّ، وَلَا نَتَعَلَّقُ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَلَا نَتَكَلَّمُ فِيهَا، وَإِنَّمَا نَتَكَلَّمُ عَنْ هَذَا التُّرَاثِ الَّذِي خَلَّفَهُ الرَّجُلُ وَرَاءَهُ.

مَا حَالُ هَذَا التُّرَاثِ، وَمَا هِيَ نَتِيجَةُ الْعُكُوفِ عَلَيْهِ؟

وَمَاذَا أَدَّىٰ هَذَا التُّرَاثُ إِلَىٰ الْأُمَّةِ؟

وَمَا أَثَرُ تِلْكَ الْكِتَابَاتِ فِي الْأَجْيَالِ؟

وَهَلْ فَتَحَ عَلَيْهَا أَبْوَابَ الْفِتْنَةِ وَالْمِحْنَةِ؟

www.mennaj-un.com

وَمَا مَوْقِفُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ تَكْفِيرِهِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَأْوِيلِ صِفَاتِ الرَّبِّ -جَلَّ وَعَلَا-، وَتَقْرِيرِ عَقَائِدِ الْجَهْمِيَّةِ، وَالطَّعْنِ فِي بَعْضِ الْكِبَارِ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ ﷺ بِفُحْشٍ وَغِلْظَةٍ وَجَفَاءٍ، بَلْ وَالطَّعْنِ فِي بَعْضِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، كَطَعْنِهِ فِي مُوسَىٰ، وَدَاوُدَ، وَسُلَيْمَانَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؟

وَتَفْسِيرُهُ لِلْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، بِمَا لَمْ يُفَسِّرْهَا بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ، مَعَ دَعْوَتِهِ إِلَىٰ الْتِزَامِ تَفْسِيرِهِ لَهَا، وَتَرْتِيبِ آثَارِهِ عَلَيْهِ؟

وَقَوْلُهُ بِأَزَلِيَّةِ الرُّوحِ، وَمَا يُطَابِقُ قَوْلَ أَصْحَابِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ، مَعَ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ بِدْعَةِ التَّفْسِيرِ الْمُوسِيقِيِّ لِلْقُرْآنِ، وَكَذَلِكَ مَا أَتَىٰ بِهِ مِنْ «مَسْرَحَةِ الْقُرْآنِ»، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَوَرَّطَ فِيهِ؟

وَقَدْ بُنِيَ عَلَىٰ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي شَتَّتَتِ الْجُهُودَ، وَدَمَّرَتِ الشُّعُوبَ، وَأَوْقَعَتِ الْفِتْنَةَ بَيْنَ الشُّعُوبِ وَحُكَّامِهَا، وَغَرَسَتِ الْغُلُوَّ فِي التَّكْفِيرِ بِغَيْرِ حَقٍّ فِي نُفُوسِ الشَّبِيبَةِ الْمُسْلِمَةِ... إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مُشَاهَدٌ مَنْظُورٌ.

وَلَا بُدَّ مِنْ عَرْضِ كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِ عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَمَا وَافَقَ قُبِلَ، وَمَا خَالَفَ رُدَّ، كَائِنًا مَنْ كَانَ قَائِلُهُ.

وَلَوْ أَحْكَمَ الْمُسْلِمُ أُصُولَ الْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ فِي أَنْبِيَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَفِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، وَفِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَفِي بَابِ الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ، وَفِي صِفَاتِ اللهِ

تَعَالَىٰ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أُصُولِ الِاعْتِقَادِ، مَا قَبِلَ مُخَالَفَةَ مُخَالِفٍ بِحَالٍ.

قَالَ فِي «التَّصْوِيرِ الْفَنِّيِّ فِي الْقُرْآنِ» (ص١٦٢-١٦٤)، فِي حَقِّ الْكَلِيمِ مُوسَىٰ عليه السلام: «لِنَأْخُذَ مُوسَىٰ، إِنَّهُ نَمُوذَجٌ لِلزَّعِيمِ الْمُنْدَفِعِ الْعَصَبِيِّ الْمِزَاجِ».

وَقَالَ: «وَهُنَا يَبْدُو التَّعَصُّبُ الْقَوْمِيُّ، كَمَا يَبْدُو الِانْفِعَالُ الْعَصَبِيُّ، وَسَرْعَانَ مَا تَذْهَبُ بِهِ هَذِهِ الدَّفْعَةُ الْعَصَبِيَّةُ، فَيَثُوبُ إِلَىٰ نَفْسِهِ شَأْنَ الْعَصَبِيِّينَ».

وَقَالَ: «فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ، وَهُوَ تَعْبِيرٌ مُصَوِّرٌ لِهَيْئَةٍ مَعْرُوفَةٍ: هَيْئَةِ الْمُتَفَزِّعِ الْمُلْتَفِتِ الْمُتَوَقِّعِ لِلشَّرِّ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ، وَتِلْكَ سِمَةُ الْعَصَبِيِّينَ أَيْضًا.

وَمَعَ هَذَا، وَمَعَ أَنَّهُ قَدْ وَعَدَ بِأَنَّهُ لَنْ يَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ؛ فَلْنَنْظُرْ مَا يَصْنَعُ، إِنَّهُ يَنْظُرُ: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾، مَرَّةً أُخْرَىٰ عَلَىٰ رَجُلٍ آخَرَ، ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾، وَلَكِنَّهُ يَهِمُّ بِالرَّجُلِ الْآخَرِ كَمَا هَمَّ بِالْأَمْسِ، وَيُنْسِيهِ التَّعَصُّبُ وَالِانْدِفَاعُ اسْتِغْفَارَهُ وَنَدَمَهُ وَخَوْفَهُ وَتَرَقُّبَهُ، لَوْلَا أَنْ يُذَكِّرَهُ مَنْ يَهُمُّ بِهِ بِفَعْلَتِهِ، فَيَتَذَكَّرُ وَيَخْشَىٰ».

وَقَالَ: «فَلْنَدَعْهُ هُنَا لِنَلْتَقِي بِهِ فِي فَتْرَةٍ ثَانِيَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ بَعْدَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ؛ فَلَعَلَّهُ قَدْ هَدَأَ وَصَارَ رَجُلًا هَادِئَ الطَّبْعِ، حَلِيمَ النَّفْسِ.

كَلَّا، فَهَا هُوَ ذَا يُنَادَىٰ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ: أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ، فَأَلْقَاهَا؛ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ، وَمَا يَكَادُ يَرَاهَا حَتَّىٰ يَثِبَ جَرْيًا، لَا يُعَقِّبُ وَلَا يَلْوِي، إِنَّهُ

الْفَتَىٰ الْعَصَبِيُّ نَفْسُهُ، وَلَوْ أَنَّهُ قَدْ صَارَ رَجُلاً؛ فَغَيْرُهُ كَانَ يَخَافُ، نَعَمْ، وَلَكِنْ لَعَلَّهُ كَانَ يَبْتَعِدُ مِنْهَا، وَيَقِفُ لِيَتَأَمَّلَ هَذِهِ الْعَجِيبَةَ الْكُبْرَىٰ.

ثُمَّ لْنَدَعْهُ فَتْرَةً أُخْرَىٰ، لِنَرَىٰ مَاذَا يَصْنَعُ الزَّمَنُ فِي أَعْصَابِهِ.

لَقَدْ انْتَصَرَ عَلَىٰ السَّحَرَةِ، وَقَدْ اسْتَخْلَصَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَعَبَرَ بِهِمُ الْبَحْرَ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ مِيعَادِ رَبِّهِ عَلَىٰ الطُّورِ، وَإِنَّهُ لَنَبِيٌّ، وَلَكِنْ هَا هُوَ ذَا يَسْأَلُ رَبَّهُ سُؤَالًا عَجِيبًا: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾، ثُمَّ حَدَثَ مَا لَا تَحْتَمِلُهُ أَيَّةُ أَعْصَابٍ إِنْسَانِيَّةٍ، بَلْهَ أَعْصَابَ مُوسَىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

عَوْدَةُ الْعَصَبِيِّ فِي سُرْعَةٍ وَانْدِفَاعٍ!

ثُمَّ هَاهُوَ ذَا يَعُودُ، فَيَجِدُ قَوْمَهُ قَدْ اتَّخَذُوا لَهُمْ عِجْلًا إِلَهًا، وَفِي يَدَيْهِ الْأَلْوَاحُ الَّتِي أَوْحَاهَا اللهُ إِلَيْهِ، فَمَا يَتَرَيَّثُ وَمَا يَنِي، ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِ﴾، وَإِنَّهُ لَيَمْضِي مُنْفَعِلًا يَشُدُّ رَأْسَ أَخِيهِ وَلِحْيَتِهِ وَلَا يَسْمَعُ لَهُ قَوْلًا.

وَحِينَ يَعْلَمُ أَنَّ السَّامِرِيَّ هُوَ الَّذِي فَعَلَ الْفَعْلَةَ؛ يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ مُغْضَبًا، وَيَسْأَلُهُ مُسْتَنْكِرًا... هَكَذَا فِي حَنَقٍ ظَاهِرٍ وَحَرَكَةٍ مُتَوَتِّرَةٍ.

فَلْنَدَعْهُ سَنَوَاتٍ أُخْرَىٰ.

www.mennag-un.com

لَقَدْ ذَهَبَ قَوْمُهُ فِي التِّيهِ، وَنَحْسَبُهُ قَدْ صَارَ كَهْلًا حِينَمَا افْتَرَقَ عَنْهُمْ، وَلَقِيَ الرَّجُلَ الَّذِي طَلَبَ إِلَيْهِ أَنْ يَصْحَبَهُ لِيُعَلِّمَهُ مِمَّا آتَاهُ اللهُ عِلْمًا، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَصْبِرَ حَتَّىٰ يُنْبِئَهُ بِسِرِّ مَا يَصْنَعُ مَرَّةً وَمَرَّةً وَمَرَّةً، فَافْتَرَقَا...!

تِلْكَ شَخْصِيَّةٌ مُوَحَّدَةٌ بَارِزَةٌ، وَنَمُوذَجٌ إِنْسَانِيٌّ وَاضِحٌ فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنْ مَرَاحِلِ الْقِصَّةِ جَمِيعًا». انْتَهَىٰ كَلَامُهُ.

وَكُلُّ مَنْ عَرَفَ عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي أَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ لَا يَقْبَلُ حَرْفًا مِمَّا ذَكَرَهُ فِي هَذِهِ الْحَمْلَةِ الشَّدِيدَةِ عَلَىٰ الْكَلِيمِ ﷺ، وَهُوَ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ -صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمْ وَسَلَّمَ أَجْمَعِينَ-، وَوَرَاءَ إِسَاءَتِهِ إِلَىٰ مُوسَىٰ فِي «التَّصْوِيرِ الْفَنِّيِّ»، إِسَاءَاتٌ أُخَرُ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الظِّلَالِ، كُلَّمَا ذُكِرَ مُوسَىٰ عليه السلام.

وَلِأَجْلِ الْمُخَالَفَةِ الصَّارِخَةِ لِلْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَنْبِيَاءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، لَمَّا قُرِئَ كَلَامُ سَيِّدٍ فِي مُوسَىٰ عليه السلام عَلَىٰ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ بَازٍ، قَالَ: «الِاسْتِهْزَاءُ بِالْأَنْبِيَاءِ رِدَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ»[1].

عَلَىٰ أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَقِف عِنْدَ مُوسَىٰ عليه السلام، بَلْ تَعَدَّاهُ بِمَا هُوَ أَشْنَعُ وَأَقْبَحُ إِلَىٰ سُلَيْمَانَ وَدَاوُدَ عليهما السلام، وَلَمْ يَقِفِ الطَّعْنُ فِيمَا عِنْدَ حَدِّ الْأَخْلَاقِ الْعَامَّةِ، وَالْوَصْفِ بِالْعَصَبِيَّةِ وَالِانْدِفَاعِ...، بَلْ تَعَدَّاهُ إِلَىٰ مَا يَتَعَلَّقُ بِالسُّلُوكِ الْأَخْلَاقِيِّ فِيمَا يَمَسُّ عَلَاقَةَ الرَّجُلِ بِالْمَرْأَةِ، بِمَا لَا يُقْبَلُ فِي حَقِّ الْمُسْلِمِ الْعَادِيِّ، فَضْلًا عَنِ الَّذِينَ يُوحَىٰ إِلَيْهِمْ، وَهُمْ مَعْصُومُونَ.

(١) من درس للشيخ في منزله بالرياض سنة ١٤١٣هـ - تسجيلات منهاج السنة بالرياض.

لَقَدْ تَكَلَّمَ سَيِّدٌ عَنْ نَبِيِّ اللهِ سُلَيْمَانَ عليه السلام، فَقَالَ: «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَالِكَ عِنْدَمَا جَاءَتْ بَلْقِيسُ إِلَّا رَجُلٌ وَامْرَأَةٌ!! فَأَرَادَ أَنْ يَبْهَرَهَا، فَاتَّخَذَ لَهَا الصَّرْحَ الْمُمَرَّدَ مِنْ قَوَارِيرَ (يَعْنِي: لَفْتَ نَظَرٍ، وَجَذْبَ انْتِبَاهٍ!!) فَأَحَسَّتْ هِيَ أَنَّهُ يُرِيدُ الْمَرْأَةَ، وَأَحَسَّتْ بِالرَّجُلِ!!».

هَذَا الْكَلَامُ، كَتَبَهُ الرَّجُلُ فِي «التَّصْوِيرِ الْفَنِّيِّ»، وَذَكَرَ كَلَامًا قَبِيحًا، ثُمَّ قَالَ: «وَهَذَا لَا يُسْتَغْرَبُ، فَهُوَ ابْنُ دَاوُدَ!! يَعْنِي: مَنْ شَابَهُ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ، وَيَعْنِي بِذَلِكَ: الْقِصَّةَ الَّتِي ذَكَرَهَا أَهْلُ الْكِتَابِ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، مِنْ قِصَّةِ دَاوُدَ عليه السلام الْمَكْذُوبَةِ مَعَ قَائِدِ جَيْشِهِ أُورِيَّا، وَفِيهَا خِيَانَةٌ وَخِدَاعٌ يَتَنَزَّهُ عَنْهُمَا الْأَسْوِيَاءُ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَكَيْفَ بِنَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ الْمَعْصُومِينَ؟!

وَتَبِعَ سَيِّدٌ هَؤُلَاءِ الْمُفْتَرِينَ فِي خُرَافَاتِهِمْ، فَلَمَزَ سُلَيْمَانَ بِدَاوُدَ عليهما السلام، فَقَالَ: «وَسُلَيْمَانُ هُوَ ابْنُ دَاوُدَ صَاحِبِ التِّسْعِ وَالتِّسْعِينَ نَعْجَةً، الَّذِي فُتِنَ فِي نَعْجَةٍ وَاحِدَةٍ».

قَالَ فِي «التَّصْوِيرِ الفَنِّي فِي القُرْآنِ»، بَعْدَ كَلَامٍ: «وَالآنَ وَقَدْ رَدَّ -أَيْ: سُلَيْمَانُ- الرُّسُلَ بِهَدِيَّتِهِمْ، فَلْنَدَعْهُمْ فِي الطَّرِيقِ قَافِلِينَ.

إِنَّ سُلَيْمَانَ النَّبِيَّ لَمَلِكٌ، وَإِنَّهُ كَذَلِكَ لَرَجُلٌ، وَإِنَّ المَلِكَ لَيُدْرِكُ مِنْ تَجَارِبِهِ أَنَّ هَذَا الرَّدَّ العَنِيفَ سَيُنْهِي الأَمْرَ مَعَ مَلِكَةٍ لَا تُرِيدُ العَدَاءَ -كَمَا يَبْدُو مِنْ هَدِيَّتِهَا لَهُ- وَأَنَّهَا سَتُجِيبُ دَعْوَتَهُ عَلَىٰ وَجْهِ التَّرْجِيحِ، بَلِ التَّحْقِيقِ، وَهُنَا يَسْتَيْقِظُ «الرَّجُلُ»، [الْأَقْوَاسُ مِنْ عِنْدِهِ] الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَبْهَرَ «المَرْأَةَ» [الْأَقْوَاسُ

مِنْ عِنْدِهِ] بِقُوَّتِهِ وَسُلْطَانِهِ (وَسُلَيْمَانُ هُوَ ابْنُ دَاوُدَ، صَاحِبِ التِّسْعِ وَالتِّسْعِينَ نَعْجَةً، الَّذِي فُتِنَ فِي نَعْجَةٍ وَاحِدَةٍ) [الْقَوْسَانِ مِنْ عِنْدِهِ].

قَالَ فِي الحَاشِيَةِ مُفَسِّرًا: «فِي قِصَّةِ دَاوُدَ فِي الْقُرْآنِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ فِتْنَتِهِ بِامْرَأَةٍ -مَعَ كَثْرَةِ نِسَائِهِ- فَأَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ يَتَخَاصَمَانِ عِنْدَهُ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ ...!﴾ [وَالنُّقَطُ الثَّلَاثُ وَعَلَامَةُ التَّعَجُّبِ مِنْ عِنْدِهِ!!] قَالَ: وَعَرَفَ دَاوُدَ أَنَّهَا الفِتْنَةُ ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾.

ثُمَّ قَالَ: «فَهَا هُوَ ذَا يُرِيدُ أَنْ يَأْتِيَ بِعَرْشِ الْمَلِكَةِ قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ، وَأَنْ يُمَهِّدَ لَهَا الصَّرْحَ مِنْ قَوَارِيرَ».

ثُمَّ قَالَ: «وَهَكَذَا كَانَتْ بَلْقِيسُ «امْرَأَةً» [الْأَقْوَاسُ مِنْ عِنْدِهِ] كَامِلَةً، تَتَّقِي الْحَرْبَ وَالتَّدْمِيرَ، وَتَسْتَخْدِمُ الْحِيلَةَ وَالْمُلَاطَفَةَ، بَدَلَ الْمُجَاهَرَةِ وَالْمُخَاشَنَةِ؛ ثُمَّ لَا تُسَلِّمُ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ، فَالْمُفَاجَأَةُ الْأُولَىٰ تَمُرُّ فَلَا تُسَلِّمُ، فَإِذَا بَهَرَتْهَا الْمُفَاجَأَةُ الثَّانِيَةُ، وَأَحَسَّتْ بِغَرِيزَتِهَا أَنَّ إِعْدَادَ الْمُفَاجَأَةِ لَهَا دَلِيلٌ عَلَىٰ عِنَايَةِ «الرَّجُلِ» [الْأَقْوَاسُ مِنْ عِنْدِهِ] بِهَا، أَلْقَتِ السِّلَاحَ، وَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا إِلَىٰ الرَّجُلِ الَّذِي بَهَرَهَا، وَأَبْدَىٰ اهْتِمَامَهُ بِهَا، بَعْدَ الْحَذَرِ الْأَصِيلِ فِي طَبِيعَةِ الْمَرْأَةِ، وَالتَّرَدُّدِ

الْخَالَدِ فِي نَفْسٍ حَوَّاءَ»[١].

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ تَعَالَىٰ مِنْ نَقْلِ هَذَا الْكَلَامِ.

وَهَذَا الْكَلَامُ فِي حَقِّ نَبِيَّيْنِ مَعْصُومَيْنِ مِنْ أَنْبِيَاءِ اللهِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ- مُجَافٍ تَمَامَ الْمُجَافَاةِ لِعَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي أَنْبِيَاءِ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَإِنَّا لَنَسْأَلُ الصَّارِخِينَ فِي كُلِّ سَبِيلٍ، الْحَاطِبِينَ فِي هَوَىٰ سَيِّدٍ، يَقُولُونَ: «إِنَّكُمْ لَا تَفْهَمُونَ كَلَامَهُ»، نَسْأَلُهُمْ أَنْ يَتَفَضَّلُوا بِبَيَانِ مَعْنَىٰ هَذَا الْكَلَامِ الَّذِي خَفِيَ عَلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَظَهَرَ لَهُمْ وَحْدَهُمْ، فَصَارَ الْقَدْحُ مَدْحًا، وَالْإِسَاءَةُ إِحْسَانًا، وَالتَّجْرِيحُ تَعْدِيلًا!

وَإِنَّا لَمُنْتَظِرُونَ!

وَكَذَلِكَ مَا قَالَهُ عَنْ عُثْمَانَ ﷺ، وَعَنْ مُعَاوِيَةَ وَأَبِيهِ وَأُمِّهِ ﷺ.

قَالَ: «وَمَضَىٰ عَلِيٌّ إِلَىٰ رَحْمَةِ رَبِّهِ، وَجَاءَ مُعَاوِيَةُ ابْنُ هِنْدٍ وَابْنُ أَبِي سُفْيَانَ».

قَالَ الْأُسْتَاذُ مَحْمُود شَاكِر رَحِمَهُ اللهُ، بَعْدَ أَنْ نَقَلَ الْعِبَارَةَ السَّابِقَةَ: «وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ نَقْلِ هَذَا الْكَلَامِ، بِمِثْلِ هَذِهِ الْعِبَارَةِ النَّابِيَةِ، فَإِنَّهُ أَبْشَعُ مَا رَأَيْتُهُ»[٢].

---

(١) «التصوير الفني في القرآن» سيد قطب (ص١٧٢)، دار الشروق.

(٢) «جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر» (٢/ ٩٩٢).

وَقَالَ سَيِّد قُطْب: «هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، هِيَ تِلْكَ الَّتِي وَقَفَتْ يَوْمَ أُحُدٍ، تَلَغُ فِي الدِّمِ إِذْ تَنْهَشُ كَبِدَ حَمْزَةَ كَاللَّبُؤَةِ الْمُتَوَحِّشَةِ»(١).

وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ نَقْلِ هَذَا الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ إِذَا سَبُّوا الْعِرْضَ أَتَوْا بِهَذَا الْوَصْفِ الَّذِي سَاقَهُ.

وَمَنْ يَقْبَلُ أَنْ يُقَالَ هَذَا الْكَلَامُ عَنْ أُمِّهِ أَوْ بِنْتِهِ أَوْ أُخْتِهِ؟!

فَكَيْفَ بِصَحَابِيَّةٍ، أُمِّ صَحَابِيٍّ، وَزَوْجِ صَحَابِيٍّ؟!

قَالَ سَيِّد قُطْب فِي كِتَابِهِ: «كُتُبٌ وَشَخْصِيَّاتٌ» (ص٢٤٢)، عَنْ مُعَاوِيَةَ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ، وَعَمْرِو بْنِ الْعَاص ﷺ: «إِنَّ مُعَاوِيَةَ وَزَمِيلَهُ عَمْرًا لَمْ يَغْلِبَا عَلِيًّا؛ لِأَنَّهُمَا أَعْرَفُ مِنْهُ بِدَخَائِلِ النُّفُوسِ، وَأَخْبَرُ مِنْهُ بِالتَّصَرُّفِ النَّافِعِ فِي الظَّرْفِ الْمُنَاسِبِ، وَلَكِنْ لِأَنَّهُمَا طَلِيقَانِ فِي اسْتِخْدَامِ كُلِّ سِلَاحٍ، وَهُوَ مُقَيَّدٌ بِأَخْلَاقِهِ فِي اخْتِيَارِ وَسَائِلِ الصِّرَاعِ.

وَحِينَ يَرْكَنُ مُعَاوِيَةُ وَزَمِيلُهُ إِلَىٰ الْكَذِبِ وَالْغِشِّ وَالْخَدِيعَةِ وَالنِّفَاقِ وَالرِّشْوَةِ وَشِرَاءِ الذِّمَمِ، لَا يَمْلِكُ عَلِيٌّ أَنْ يَتَدَلَّىٰ إِلَىٰ هَذَا الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ، فَلَا عَجَبَ يَنْجَحَانِ وَيَفْشَلُ، وَإِنَّهُ لَفَشَلٌ أَشْرَفُ مِنْ كُلِّ نَجَاحٍ». اهـ

وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ نَقْلِ هَذَا الْكَلَامِ.

وَقَالَ فِي حَقِّ أَبِي سُفْيَانَ ﷺ: «أَبُو سُفْيَان هُوَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي لَقِيَ

(١) «جمهرة المقالات» (٢/ ٩٩٤).

www.menhag-un.com

الْإِسْلَامُ مِنْهُ وَالْمُسْلِمُونَ مَا حَفَلَتْ بِهِ صَفْحَاتُ التَّارِيخِ، وَالَّذِي لَمْ يُسْلِمْ إِلَّا وَقَدْ تَقَرَّرَتْ غَلَبَةُ الْإِسْلَامِ، فَهُوَ إِسْلَامِ الشَّفَةِ وَاللِّسَانِ لَا إِيمَانُ الْقَلْبِ وَالْوُجْدَانِ، وَمَا نَفَذَ الْإِسْلَامُ إِلَىٰ قَلْبِ ذَلِكَ الرَّجُلِ قَطُّ، فَلَقَدْ ظَلَّ يَتَمَنَّىٰ هَزِيمَةَ الْمُسْلِمِينَ وَيَسْتَبْشِرُ لَهَا فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ، وَفِي قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ وَالرُّومِ فِيمَا بَعْدُ، بَيْنَمَا يَتَظَاهَرُ بِالْإِسْلَامِ، وَلَقَدْ ظَلَّتِ الْعَصَبِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةُ تُسَيْطِرُ عَلَىٰ فُؤَادِهِ، وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ يَحْقِدُ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، فَمَا تَعْرِضُ فُرْصَةٌ لِلْفِتْنَةِ إِلَّا انْتَهَزَهَا...». اهـ

وَكَلَامُهُ فِي كِتَابِهِ «الْعَدَالَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ» شَنِيعٌ نَابٍ فِي حَقِّ عُثْمَانَ وَغَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ-.

وَيَقُولُ قَائِلٌ: هُوَ أَدِيبٌ!!

فَأَقُولُ: نَعَمْ، هُوَ أَدِيبٌ، وَلَكِنْ تَوَرَّطَ فِيمَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْمِيَهُ مِنْهُ الْأَدَبُ، فَهَذَا عُذْرٌ أَقْبَحُ مِنْ ذَنْبٍ، لِأَنَّهُ حُكْمٌ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ سَبَّ أَعْرَاضَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَصْحَابِ قَاصِدًا عَامِدًا لَا عُذْرَ لَهُ؛ فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، فَالنَّبِيُّ ﷺ رَاجَعَ الشُّعَرَاءَ لَمَّا أَخْطَئُوا، فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، قَالَ: «بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْعَرْجِ إِذْ عَرَضَ شَاعِرٌ يَنْشُدُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«خُذُوا الشَّيْطَانَ، أَوْ أَمْسِكُوا الشَّيْطَانَ، لَأَنْ يَمْتَلِئَ جَوْفُ رَجُلٍ قَيْحًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا»**[1].

(١) أخرجه مسلم (٢٢٥٩).

www.menhag-un.com

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلُ، وَكَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ أَنْ يُسْلِمَ»**(١).

فَقَدْ أَقَرَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي الشِّعْرِ كَلَامًا، وَرَدَّ كَلَامًا، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ مَلْفُوظٍ أَوْ مَقْرُوءٍ يَجِبُ أَنْ يُعْرَضَ عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَمَا وَافَقَ قُبِلَ، وَمَا خَالَفَ رُدَّ وَلَا كَرَامَةَ، وَلَا فَرْقَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ كَلَامِ الشُّعَرَاءِ، وَكَلَامِ الْأُدَبَاءِ، وَكَلَامِ غَيْرِهِمْ.

وَالقَاعِدَةُ الَّتِي يَرْكَنُ إِلَيهَا المُنَافِحُونَ عَن أَهْلِ البِدَعِ هِيَ: قَاعِدَةُ المُوَازَنَةِ بَينَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، وَهِيَ قَاعِدَةٌ بَاطِلَةٌ، صَيَّرَهَا أَهْلُ البِدَعِ -فِي الدِّفَاعِ عَن شُيُوخِهِم- دِرْعًا يَحْتَمُونَ بِهِ، وَكَهْفًا يَلجَئُونَ إِلَيهِ.

وَهِيَ وَسِيلَةٌ للخِدَاعِ، وَغِشٌّ للمُسْلِمِينَ، وَقَد قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَنْ غَشَّنَا فَلَيسَ مِنَّا»**، وَهِيَ خِيَانَةٌ للهِ وَرَسُولِهِ، وَقَد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنفال:٢٧].

وَأَيُّ خِيَانَةٍ أَعْظَمُ مِن أَنْ يُرَوَّجَ بَينَ المُسْلِمِينَ أَنَّ: تَكْفِيرَ المُجتَمَعَاتِ، وَالطَّعنَ فِي الأَنبِيَاءِ وَسَبَّ الصَّحَابَةِ، وَتَأوِيلَ الصِّفَاتِ، وَالقَولَ بِخَلْقِ القُرآنِ وَوحدَةِ الوُجُودِ -سَيِّئَاتٌ مَطمُورَةٌ فِي بَحْرِ حَسَنَاتِهِ؟!

(١) البخاري (٥٧٩٥)، ومسلم (٢٢٥٦).

www.menhag-un.com

أَيُّ غِشٍّ وَخِدَاعٍ للمُسْلِمِينَ، وَأَيُّ خِيَانَةٍ للدِّين هِي أَكْبَرُ مِن هَذِهِ؟!

لَقَد تَعَبَّدَ اللهُ العِبَادَ بِرَدِّ البَاطِلِ وَقَمْعِ المُبْتَدِعِينَ، وَالتَّحْذِيرِ مِنهُم وَمِن بِدَعِهِم، وَأَمَّا النَّظَرُ فِي الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، فَهَذَا إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَم يُرشِدْنَا إِلَىٰ هَذِهِ المُوَازَنَات، وَلَم يَستَعْمِلْهَا، بَل كَانَ عِندَ النَّصِيحَةِ وَعِندَ التَّحذِيرِ، لَا يَذْكُر حَسَنَةً أَبَدًا، وَهَذَا هُوَ مَنْهَجُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ، فَمَنْ خَالَفَهُ فَهُوَ مُجَانِبٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ مُوَاقِعٌ لِأَهْلِ البِدْعَةِ، غَاشٌّ لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَالْوَاجِبُ عَلَىٰ الوُعَّاظِ وَالدُّعَاةِ جَمِيعًا فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- فِي الشَّبَابِ، وَأَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ دِينِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- مُجَرَّدًا، وَأَن يَأخُذُوا الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ.

وَلِيَعلَم هَؤلَاءِ الدُّعَاةِ أَنَّهُ لَا عُذْرَ لَهُم، فَلَا يُقْبَلُ أَنْ يُخْرِجُوا النَّاسَ مِنَ الْمَعصِيَةِ الَّتِي لَيْسَتْ بِبِدْعَةٍ إِلَىٰ الْبِدْعَةِ الَّتِي هِيَ أَحَبُّ إِلَىٰ إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعصِيَةَ.

ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ : طَرَفًا مِن مُنَاظَرَتِهِ لِبَعضِ أَهْلِ البِدَعِ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «فَقَالَ لِي: البِدعَةُ مِثلُ الزِّنَا، وَرَوَىٰ حَدِيثًا فِي ذَمِّ الزِّنَا، فَقُلتُ: هَذَا حَدِيثٌ مَوضُوعٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالزِّنَا مَعصِيَةٌ، وَالبِدعَةُ شَرٌّ مِنَ المَعصِيَةِ، كَمَا

قَالَ سُفيَانُ الثَّورِيُّ: «البِدعَةُ أَحَبُّ إِلَىٰ إبلِيسَ مِنَ المَعصِيةِ؛ فَإِنَّ المَعصِيةَ يُتَابُ مِنهَا، وَالبِدعَةُ لَا يُتَابُ مِنهَا.

وَكَانَ قَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ: نَحْنُ نُتَوِّبُ النَّاسَ.

فَقُلْتُ: مِمَّاذَا تُتَوِّبُونَهُم؟

قَالَ: مِنْ قَطْعِ الطَّرِيقِ وَالسَّرِقَةِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَقُلْتُ: حَالُهُمْ قَبْلَ تَتْوِيبِكُمْ خَيْرٌ مِنْ حَالِهِمْ بَعْدَ تَتْوِيبِكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا فُسَّاقًا، يَعْتَقِدُونَ تَحْرِيمَ مَا هُمْ عَلَيْهِ، وَيَرْجُونَ رَحْمَةَ اللهِ، وَيَتُوبُونَ إِلَيْهِ، أَوْ يَنْوُونَ التَّوْبَةَ، فَجَعَلْتُمُوهُمْ بِتَتْوِيبِكُم ضَالِّينَ مُشْرِكِينَ خَارِجِينَ عَنْ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، يُحِبُّونَ مَا يُبْغِضُهُ اللهُ، وَيُبْغِضُونَ مَا يُحِبُّهُ الله، وَبَيَّنْتُ أَنَّ هَذِهِ الْبِدَعَ الَّتِي هُمْ وَغَيْرُهُمْ عَلَيْهَا شَرٌّ مِنْ الْمَعَاصِي»[1].

فَإِخْرَاجُ النَّاسِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ الَّتِي يَعْتَقِدُونَهَا مَعْصِيَةً إِلَىٰ الْبِدَعِ الَّتِي يَعْتَقِدُونَهَا قُرْبَةً وَطَاعَةً، هُوَ فِي ذَاتِهِ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ وَأَعْظَمِ الْآثَامِ؛ لِأَنَّهُ فِي حَقِيقَتِهِ دَعْوَةٌ إِلَىٰ الْبِدْعَةِ، وَتَزْيِينٌ لَهَا فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ صَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَتَحْرِيفٌ لِدِينِهِ، وَطَمْسٌ لِمَعَالِمِهِ.

فَلْيَتَّقِ اللهَ هَؤُلَاءِ، وَلْيَقُومُوا للهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ، ثُمَّ يَتَفَكَّرُوا فِيمَا يَصْنَعُونَ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ أَضَلَّهُمْ، وَمَنْ

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ٤٧٢).

www.menhag-un.com

دَعَا إِلَىٰ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالَةِ فَهُوَ مِنْ دُعَاةِ الضَّلَالَةِ، وَمِنْ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ، طَرِيقِ الْجَنَّةِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

وَلْيَعْلَمْ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ صَارُوا دُعَاةً لِلْبِدْعَةِ، وَأَنَّ تَوْبَتَهُمْ تَتَطَلَّبُ شَرْطًا لَا بُدَّ مِنْهُ فِي تَوْبَةِ الْمُبْتَدِعِ الدَّاعِي، وَهُوَ أَنْ يُصْلِحَ بَدَلَ إِفْسَادِهِ، وَأَنْ يَعْتَصِمَ بِاللهِ بَدَلَ اعْتِصَامِهِ بِالْمُبْتَدِعَةِ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ، وَأَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ بِدْعَةٌ وَضَلَالٌ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: «مِنْ شُرُوطِ تَوْبَةِ الدَّاعِي إِلَىٰ الْبِدْعَةِ : أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ، وَأَنَّ الْهُدَىٰ فِي ضِدِّهِ، كَمَا شَرَطَ تَعَالَىٰ فِي تَوْبَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ كَانَ ذَنْبُهُمْ كِتْمَانَ مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ لِيُضِلُّوا النَّاسَ بِذَلِكَ؛ أَنْ يُصْلِحُوا الْعَمَلَ فِي نُفُوسِهِمْ، وَيُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ مَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُمْ إِيَّاهُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة ١٠٩-١٦٠]»[1].

وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ: «كَمَا شَرَطَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي تَوْبَةِ الْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ كَانَ ذَنْبُهُمْ إِفْسَادَ قُلُوبِ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَحَيُّزَهُمْ وَاعْتِصَامَهُمْ بِالْيَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ أَعْدَاءِ الرَّسُولِ ﷺ، وَإِظْهَارَهُمُ الْإِسْلَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً؛ أَنْ يُصْلِحُوا بَدَلَ

(١) «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين» (ص٩٣).

إِفْسَادِهِمْ، وَأَنْ يَعْتَصِمُوا بِاللهِ بَدَلَ اعْتِصَامِهِمْ بِالْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَأَنْ يُخْلِصُوا دِينَهُمْ للهِ بَدَلَ إِظْهَارِهِمْ رِيَاءً وَسُمْعَةً.

فَهَكَذَا تُفْهَمُ شَرَائِطُ التَّوْبَةِ وَحَقِيقَتُهَا، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ»[1].

فَهَذَا الشَّرْطُ مِنْ شَرَائِطِ تَوْبَةِ الْمُبْتَدِعِ وَحَقِيقَتِهَا، وَلَا بُدَّ مِنْهُ حَتَّىٰ يَصِيرَ الْمُبْتَدِعُ سُنِّيًّا حَقًّا، وَسَلَفِيًّا صِدْقًا.

إِذَنْ؛ لَابُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِي الأُصُولِ، فَلَا تَحْكُمْ عَلَىٰ جَمَاعَةٍ مِنَ الجَمَاعَاتِ، وَلَا فِرْقَةٍ مِنَ الفِرَقِ بِأَفْرَادِهَا مُنْفَصِلِينَ، قَدْ يَكُونُ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ مَنْ يَكُونُ، وَلَكِنْ قُلْ: تَعَالَ فَلْنَنْظُرْ إِلَىٰ الأُصُولِ... مَا المَنْهَجُ الاعْتِقَادِيُّ عِنْدَكُمْ؟ وَهَذَا هُوَ الأَصْلُ، مَا تَقُولُونَ فِي التَّوْحِيدِ؟ عَلَىٰ أَيِّ شَيءٍ يَتَرَبَّىٰ النَّاسُ عِنْدَكُمْ فِي مَنَاهِجِ الاعْتِقَادِ؟

ابْدَأْ بِهَذَا، وانظُرْ فِي اتِّبَاعِهِم، وَأَين هُم مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ الصَّحَابَةِ وَمَن تَبِعَهُم بِإِحْسَانٍ، وَانْظُرْ فِي أُصُولِهِم، فَإِنْ وَافَقَتْ تِلْكَ الأُصُولُ السُّنَّةَ، فَعَلَىٰ العَيْنِ وَالرَّأْسِ، لِأَنَّهَا حِينَئِذٍ تَكُونُ الفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَإِن خَالَفَتْ أُصُولُهُم **مِنْهَاجَ النُّبُوَّةِ** فَاضْرِبْ بِأُصُولِهِم عُرْضَ الحَائِطِ، وَاغْسِلْ يَدَيكَ مِنْهُم، فَهَذَا أَصْلٌ كَبِيرٌ.

وَيُدَلِّسُ وَيُلَبِّسُ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنَ المُنْتَمِينَ إِلَىٰ

(١) «عدة لصابرين» (ص٩٤).

www.menhag-un.com

مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، يُدَلِّسُ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِمْ فِي هَذَا الأَصْلِ الكَبِيرِ، فَلَا يَمْلِكُونَ جَوَابًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ لَهُمْ: مَعَنَا مَجْمُوعَةٌ مِنَ النَّاسِ الطَّيِّبِينَ، وَنَحْنُ نَصْنَعُ كَذَا وَكَذَا، تُرِيدُونَ أَنْ يُحْجَبَ هَذَا الخَيْرُ؟

حَاشَىٰ للهِ أَنْ يُحْجَبَ الخَيْرُ عَنِ الأُمَّةِ فِي أَفْرَادِهَا وَفِي مَجْمُوعِهَا، وَلَكِنْ عَلَىٰ أَيِّ مِنْهَاجٍ، وَتَحت أَيِّ رَايَةٍ؟!

لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا دَعَا إِلَىٰ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- وَأَمَرَ بِتَوْحِيدِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- لَمْ يَقْبَلْ فِي ذَلِكَ مُهَادَنَةً وَلَا مُوَادَعَةً قَطُّ، النَّاسُ يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ أَنْ يَدِينُوا للهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- بِدِينِ الحَقِّ، **وَدِينُ الحَقِّ تَجْرِيدُ التَّوحِيدِ، وَتَحْقِيقُ المُتَابَعَةِ**، وَلَا تَتَحَقَّقُ المُتَابَعَةُ إِلَّا بِالتَّمَسُّكِ بِمَا كَانَ عَلَيهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالاقتِدَاءِ بِهِم، وَتَرْكِ البِدَعِ.

إِذَا وَجَدْتَ النَّاسَ يُغْمِضُونَ أَعْيُنَهُمْ، أَوْ يَغُضُّونَ الطَّرْفَ عَنِ الشِّرْكِ الذِي يَضْرِبُ بِأَطْنَابِهِ حَوْلَهمْ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، كَالفَرَاشِ الطَّائِرِ حَوْلَ النَّارِ يَقتَحِمُهَا، وَلَا يَأْخُذُ أَحَدٌ بِصَدِّهِ عَنْهَا، وَعَنْ اقتِحَامِهَا، وَإِنَّمَا يَقِفُونَ مُتَفَرِّجِينَ عَلَىٰ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ، لَا يَصْنَعُونَ شَيْئًا، فَقُلْ: هَلْ هَذَا مِنْ دِينِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-؟!

إِذَا وَجَدْتَ جَمَاعَةً مِنَ الجَمَاعَاتِ، تَضُمُّ بَيْنَهَا مَنْ كَانَ قَبْرِيًّا صُوفِيًّا، وَمَنْ كَانَ مُنْحَرِفًا فِي اعْتِقَادِهِ جَهْمِيًّا، أو أَشْعَرِيًّا، أَوْ مُعْتَزِلِيًّا، بَلْ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، إِذَا وَجَدْتَ هَذِهِ «الخَلْطَةَ»، وَوَجَدْتَ هَذِهِ «التَّرْكِيبَةَ» فَقُلْ: هَلْ هَذَا مَا جَاءَ

بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ؟

هَلْ تَقِفُ بَعِيدًا تَتَفَرَّجُ و تَقُولُ: لَا تَتَكَلَّمُوا عَنِ الشِّرْكِ، وَلَا عَنِ البِدْعَةِ، وَلَا تُفَرِّقُوا الأُمَّةَ!!

وَهَلْ هِيَ مَجْمُوعَةٌ حَتَّىٰ تُفَرِّقَهَا الدَّعْوَةُ إِلَىٰ الحَقِّ؟ بَلْ هِيَ مُتَفَرِّقَةٌ يُرَادُ أَنْ تُجْمَعَ عَلَىٰ الْحَقِّ، وَلَيْسَ هَذَا عَنْ ضَغِينَةٍ لِأَحَدٍ، بَلْ هُوَ مِنَ الحُبِّ لِلْمُسْلِمِينَ فِي اللهِ؛ لِأَنَّ الَّذِي يَزِيغُ عَنِ الحَقِّ، إِذَا مَا دَلَلْتَهُ عَلَىٰ الحَقِّ وَلَوْ بِنَوْعِ خُشُونَةٍ، فَأَنْتَ مُحْسِنٌ إِلَيْهِ، بَلْ إِنَّكَ آتٍ بِأَعْظَمِ أَلْوَانِ الإِحْسَانِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّ هَذَا الإِحْسَانَ لَيْسَ فَوْقَهُ إِحْسَانٌ، وَهُوَ الهِدَايَةُ إِلَىٰ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيمِ.

وَأَمَّا إِغْمَاضُ الطَّرْفِ عَنْ ذَلِكَ، فَهُوَ خِيَانَةٌ لِلْأُمَّةِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ دَلَّ عَلَىٰ مَسْأَلَةِ الافْتِرَاقِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَقَعُ، وَدَلَّ عَلَىٰ سَبِيلِ النَّجَاةِ مِنْهُ.

فَلَابُدَّ مِنَ العَوْدَةِ إِلَىٰ الأُصُولِ الحَاكِمَةِ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الجَمَاعَاتِ، هَل هِيَ قَائِمَةٌ عَلَىٰ الأَصْلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ؟ وَمَتَىٰ تَكُونُ مُنْحَرِفَةً عَنْ **مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**؟ هَذَا مُهِمٌّ، وَهَذِهِ الجَمَاعَاتُ وَالفِرَقُ كُلُّهَا، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ سَائِرَةً عَلَىٰ **مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ** وَهِيَ تُضَادُّهُ وتُحَادُّهُ، وَهِيَ مُتَخَالِفَةٌ مُخَالِفَةٌ، لِأَنَّ الحَقَّ وَاحِدٌ لَا يَتَعَدَّدُ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَخَذُوا مِنَ النَّبْعِ الأَوْحَدِ، وَعَادُوا إِلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، عَوْدًا حَمِيدًا، لَاجْتَمَعُوا جَمِيعًا، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْمَعَ المُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ عَلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ، وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ جَمِيعًا عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ.

العَقيدَةُ الصَّحيحَةُ هِيَ الأَسَاسُ الَّذِي اجْتَمَعَ عَليهِ السَّلَفُ، وَلَم يَختَلِفُوا فِيهِ، واتَّفَقَتْ كَلِمَتُهُم حَولَهُ.

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَتَّبِعُونَ أَقْوَامًا يَحْيَوْنَ فِي دِيَارِ الكُفْرِ، وَيَعِيشُونَ بَيْنَ الكُفَّارِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُصَنِّفُ المُصَنَّفَاتِ وَيُطَيِّرُهَا إِلَىٰ دِيَارِ المُسْلِمِينَ؛ لِإِحْدَاثِ القَتْلِ وَالتَّخْرِيبِ وَالتَّفْجِيرِ، وَلِلْمُصَادَمَةِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ وَحُكَّامِهِمْ، وَيَقَعُ بِسَبَبِ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ التَّضْيِيقِ وَالتَّتَبُّعِ لِدَعْوَةِ الإِسْلَامِ العَظِيمِ، فِي الدَّاخِلِ وَفِي الخَارِجِ، وَكُلُّ ذَلِكَ لِسَبَبٍ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، لِأَنَّ تَعَلُّمَ العَقِيدَةِ لَا يَسِيرُ عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ المُسْتَقِيمَةِ وَلَا عَلَىٰ السَّبِيلِ القَوِيمَةِ، وَتُتَعَلَّمُ العَقِيدَةُ مِن كُتُبِ أَهْلِ البِدَعِ، وَتُتْرَكُ كُتُبُ العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ؛ وَهِيَ كُتُبُ السَّلَفِ، الكُتُبُ الَّتِي كَتَبَهَا عُلَمَاؤُنَا المُتَقَدِّمُونَ كَالإِمَامِ أَحْمَدَ وَوَلَدِهِ عَبدِ اللهِ، وَالخَلَّالِ، وَأَبِي مُحَمَّدٍ البَرْبَهَارِيِّ، وابن أَبِي عَاصِمٍ وَكَذَلِكَ مَا كَتَبَهُ ابْنُ بَطَّةَ، وَالآجُرِّيُّ، وَاللَّالَكَائِيُّ، العُلَمَاءُ الَّذِينَ كَتَبُوا قَوَاعِدَ الاعْتِقَادِ مِنْ عَقَائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَهِيَ عَقِيدَةٌ وَاحِدَةٌ، وَلَكِنْ تُكْتَبُ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ.

لَوْ نَظَرْتَ فِي كِتَابٍ؛ كَكِتَابِ أُصُولِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ، لِلْإِمَامِ اللَّالَكَائِيِّ رَحِمَهُ اللهُ، لَوَجَدْتَ اعْتِقَادَ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، وَاعْتِقَادَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ، وَاعْتِقَادَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَاعْتِقَادَ البُخَارِيِّ، وَهِيَ فِي فَحْوَاهَا كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُخْرِجُ مِنَ الاعْتِقَادِ أُصُولًا عَظِيمَةً مِن اعتِقَادِ الأَئِمَّةِ، وَقَعَ كَثِيرٌ مِنَ الخَلْطِ بَيْنَ المُسْلِمِينَ، وَكَثِيرٌ مِنَ الضَّلَالِ؛ بِسَبَبِ عَدَمِ مَعْرِفَتِهَا.

إِذَا نَظَرْتَ فِي كُتُبِ الاعْتِقَادِ الَّتِي حَرَّرَهَا عُلَمَاؤُنَا، مِنْ سَلَفِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَجَدْتَ أَنَّهُمْ يَنُصُّونَ عَلَىٰ أُمُورٍ، مِنْهَا:

مَا اعْتِقَادُ الْمُسْلِمِ الصَّحِيحُ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟

مَا اعْتِقَادُ الْمُسْلِمِ الصَّحِيحُ فِي أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ؟

مَا اعْتِقَادُ الْمُسْلِمِ الصَّحِيحُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؟

عِنْدَمَا لَا يُحَرِّرُ طَالِبُ الْعِلْمِ هَذِهِ الأُصُولَ، يُخْطِئُ فِيهَا، وَعِنْدَمَا يَتَعَلَّمُ الْعَقِيدَةَ عَلَىٰ غَيْرِهَا، يَقَعُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْخَلْطِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْبَنَانِ، كَمَا وَقَعَ فِي ذَلِكَ الْقَرَضَاوِيُّ.

قَالَ الْقَرَضَاوِيُّ: «هُوَّ يَعْنِي هُنَاكَ بَعْضُ أَقْوَالٍ لِبَعْضِ عُلَمَائِهِمْ -يَعْنِي: عُلَمَاءَ الشِّيعَةِ- تَقُولُ: إِنَّهُ فِيهِ أَطْوَلُ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ، مُصْحَفُ فَاطِمَةَ، وَإِنَّهُ فِيهِ مُصْحَفُ عِنْدَ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ، يَعْنِي: سَيَظْهَرُ مَعَهُ.

هُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ أَنَّ مَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ كَلَامُ اللهِ، يَعْنِي: لَا يُخَالِفُ شِيعِيٌّ فِي أَنَّ الْمُصْحَفَ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا هَذَا كَلَامُ اللهِ، مِنْ «آلم»، مِنْ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ إِلَىٰ سُورَةِ النَّاسِ.

إِنَّمَا: هَلْ فِيهِ قُرْآنٌ زَايِدْ أَوْ لَا، هُوَّ دَا اللِّي فِيهِ الْخِلَافُ». اهـ

هَذَا الَّذِي قَالَ عَنِ الزِّيَادَةِ فِي الْقُرْآنِ، هُوَ الَّذِي فِيهِ الْخِلَافُ!!

وَهَلْ هَذَا مِمَّا يَقْبَلُ الْخِلَافَ فِيهِ؟!

www.menhag-un.com

إِنَّ مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، أَنَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْقُرْآنَ زِيدَ فِيهِ حَرْفٌ، أَوْ نَقُصَ مِنْهُ حَرْفٌ، فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ، وَالشَّيْخُ يَقُولُ: «إِنَّهُ خِلَافٌ يَسِيرٌ!!».

هُمْ يَتَّهِمُونَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْخَنَا، وَيَقُولُونَ فِيهِنَّ كُلَّ قَبِيحٍ، وَيَقُولُ الشَّيْخُ: إِنَّهُ خِلَافٌ يَسِيرٌ!!

مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا الِانْحِرَافُ عَنِ الْعَقِيدَةِ؟!

هُوَ مِنْ عَدَمِ تَحْرِيرِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَلَوْ حَرَّرَ الرَّجُلُ اعْتِقَادَ أَهْلِ السُّنَّةِ بَدْءًا وَتَرَبَّىٰ عَلَيْهِ، لَا عَلَىٰ مَنْهَجِ الأَشَاعِرَةِ، وَمَنْ سِوَاهُمْ، لَعَلِمَ أَنَّ الصَّحَابَةَ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- حَرَمٌ طَاهِرٌ لَا يُمَسُّ، وَلَا يُدَنَّسُ، وَأَنَّ الْمُسْلِمَ الْمُتَّبِعَ، لَهُ اعْتِقَادٌ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ بِهِ، وَكَذَلِكَ مَا كَانَ مَعَ آلِ الْبَيْتِ، وَمَا كَانَ مَعَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَذَلِكَ مَا يَكُونُ مَعَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الأُصُولِ.

هَذَا الِانْحِرَافُ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ عَدَمِ تَحْرِيرِ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ يَعْتَقِدُ الاعْتِقَادَ الصَّحِيحَ فِي أَنْبِيَاءِ اللهِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ- لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَجَاوَزَ مَعَهُمْ بِحَالٍ؛ لأَنَّهَا عَقِيدَةٌ، وَكَذَلِكَ مَا يَكُونُ فِي شَأْنِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا يَكُونُ فِي شَأْنِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ الكَرِيمِ، وَمَا يَكُونُ فِي شَأْنِ القُرْآنِ العَظِيمِ ... إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الأُصُولِ الَّتِي بَيَّنَهَا العُلَمَاءُ.

فَالخَلَلُ وَاقِعٌ بِسَبَبِ عَدَمِ تَوَفُّرِ الأُمَّةِ عَلَىٰ كُتُبِ الاعْتِقَادِ الصَّحِيحِ، فَلَمَّا انْحَرَفَ كَثِيرٌ مِن أَبْنَائِهَا عَنْ هَذَا الأَصْلِ الأَصِيلِ، وَصَارُوا إِلَىٰ اعتِقَادِ البِدَعِ البَاطِلَةِ وَالأَهْوَاءِ المُنْحَرِفَةِ، وَصَارُوا إِلَىٰ التَّأْوِيلِ وَالتَّجْسِيمِ وَمَا أَشْبَه، وَقَعَ خَلَلٌ عَظِيمٌ نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْفَعَهُ عَنِ الأُمَّةِ.

خُذْ مَثَلًا جَمَاعَةَ الإِخْوَانِ، وَقَدِ انْشَعَبَ عَنْهَا كَثِيرٌ جِدًّا مِنَ الجَمَاعَاتِ، بَلْ أَكثَرُ الجَمَاعَاتِ الَّتِي ظَهَرَتْ بَعْدُ، إِنَّمَا خَرَجَتْ مِنْ تَحْتِ عَبَاءَةِ الإِخْوَانِ المُسْلِمِينَ.

وَكَذَلِكَ جَمَاعَةُ التَّبْلِيغِ، الَّتِي أَسَّسَهَا مُحَمَّد إِلْيَاس الكَانْدَهلَوِي، وَالرَّجُلُ (دِيُوبَنْدِيٌّ)[٢] مُتَّبِعٌ لِطُرُقِ الصُّوفِيَّةِ، وَيَأْخُذُ البَيْعَةَ عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ الصُّوفِيَّةِ الجَشْتِيَّةِ وَالسَّهْرُورديَّةِ، وَالقَادِرِيَّةِ، وَالنَّقْشَبَنْدِيَّةِ،... إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ تِلْكَ الأُمُورِ المُبْتَدَعَةِ.

الرَّجُلُ كَانَ فِي مُجْتَمَعٍ وَثَنِيٍّ، هُنْدُوسِيٍّ، وَالهَنَادِكَةُ كَانُوا يَعْتَدُونَ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ، وَكَثِيرٌ مِنَ المُسْلِمِينَ رُبَّمَا تَرَكَ دِينَهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُعِيدَ المُسْلِمِينَ إِلَىٰ حَظِيرَةِ الدِّينِ، فَأَتَىٰ بِهَذَا الَّذِي أَتَىٰ بِهِ.

وَهَذِهِ الجَمَاعَةُ تَرْجِعُ أَصْلًا إِلَىٰ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: سَعِيدُ النَّوْرَسِيُّ، وَهُوَ رَجُلٌ

(٢) الديوبندية: نسبة إلىٰ مدرسةٍ فكريةٍ هنديةٍ متأثرةٍ بالتصوفِ، تسير علىٰ العقيدةِ الماتريدية، وتنتهج الطرقُ الصوفيةُ في السلوك والاتباعِ. [الموسوعة (١/ ٣٠٤)].

تُرْكِيٌّ، وَلِذَلِكَ تَجِدُ المَسَاجِدَ الكُبْرَىٰ لَهُمْ، يُقَالُ لَهَا: مَسْجِدُ النُّورِ؛ لِأَنَّ النَّوْرَسِيَّ لَهُ كَثِيرٌ مِنَ الكُتُبِ تُسَمَّىٰ بِرَسَائِلِ النُّورِ، وَهُوَ صَاحِبُ فِكْرٍ بِدْعِيٍّ لَا يَسْتَقِيمُ مَعَ دِينِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-.

فِي هَاتَيْنِ الجَمَاعَتَيْنِ -الإِخْوَانِ وَالتَّبلِيغِ- ضَلَّ أَقْوَامٌ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الآثَارِ وَالنَّتَائِجِ، وَيَحْكُمُونَ عَلَىٰ الأُصُولِ وَالمَبَادِئِ وَالقَوَاعِدِ وَالأُسُسِ بِالنَّتَائِجِ، وَهَذَا خَطَأٌ شَنِيعٌ، وَإِلَّا فَقُلْ لِي بِرَبِّكَ، مَا تَقُولُ فِي الأُمَمِ الكَافِرَةِ الَّتِي وَصَلَتْ إِلَىٰ مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنْ تَرْقِيَةِ الحَيَاةِ ظَاهِرًا، وَامْتِلَاكِ أَسْبَابِ القُوَىٰ، وَإِذْلَالِ كَثِيرٍ مِنَ المُسْلِمِينَ فِي دِيَارِهِمْ، مَعَ غَزْوِهِم فِي عَقَائِدِهِم، وَفِي ضَمَائِرِهِم، وَفِي مُفْرَدَاتِ حَيَاتِهِم: هَلْ هَذِهِ النَّتَائِجُ وَالآثَارُ الَّتِي وَصَلُوا إِلَيْهَا، دَالَّةٌ عَلَىٰ صِحَّةِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ البَاطِلِ، وَالانْحِرَافِ، وَالشِّرْكِ، وَالكُفْرِ؟!!

مَن مِنَ المُسْلِمِينَ يَقُولُ هَذَا؟ لَا يَقُولُ هَذَا مُسْلِمٌ.

إِذَنْ لَابُدَّ مِنَ النَّظَرِ، لَا فِي النَّتَائِجِ وَالآثَارِ، وَإِنَّمَا لَابُدَّ مِنَ النَّظَرِ فِي العَقَائِدِ وَالأَفْكَارِ، عَلَىٰ أَيِّ شَيءٍ أُسِّسَتْ هَذِهِ، لِأَنَّ هَذَا هُوَ بَدْءُ الطَّرِيقِ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ لَوْ أَخَذْتَ خَطًّا مُسْتَقِيمًا مِنْ قَدَمَيْكَ إِلَىٰ الكَعْبَةِ، فَانْحَرَفْتَ عَنْهُ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ انْحِرَافًا يَسِيرًا، فَإِنَّكَ مَا اجْتَهَدْتَ فِي سَيْرِكَ، إِلَّا ازْدَدتَ عَنْ غَايَتِكَ بُعْدًا، هَذَا مُسَلَّمٌ.

فَكَذَلِكَ الشَّأْنُ: مِنْ أَيْنَ بَدَأْتَ؟ هَلْ بَدَأْتَ عَلَىٰ الحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ

www.menhag-un.com

رَسُولُ اللهِ ﷺ؟

هَلْ جَمَاعَةُ الإخوَانِ مُستَقِيمَةٌ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، وَعَلَىٰ الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ؟ أَنْتَ تَرَىٰ أَنَّهُمْ يُهَادِنُونَ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ البَاطِلِ، وَيُوَادِعُونَ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الحَمْلِ عَلَىٰ دِينِ اللهِ الحَقِّ، وَالسِّيَاسَةُ هِيَ الَّتِي تَعْمَلُ عَمَلَهَا عِندَهُم.

وَأَمَّا التَّبلِيغِيُّونَ فَعِنْدَهُمْ أُمُورٌ لَا يَجُوزُ الاقتِرَابُ مِنْهَا، كَتَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ، تَوْحِيدِ العِبَادَةِ، لَرُبَّمَا نَزَلَتِ الجَمَاعَةُ فِي مَسْجِدٍ يُعْبَدُ فِيهِ غَيْرُ اللهِ، وَيُؤْتَىٰ فِيهِ بِالشِّرْكِ الصُّرَاحِ، تَحْتَ أَعْيُنِهِمْ، لَا يَأْمُرُونَ بِمَعْرُوفٍ وَلَا يَنْهَونَ عَنْ مُنْكَرٍ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ: هَذَا إِنْ فَعَلْنَاهُ سَيُنَفِّرُ النَّاسَ!!

يُنَفِّرُ النَّاسَ ...أَيُّ نَاسٍ!!

يَقُولُونَ: دَعْهُمْ يَصْنَعُونَ!

تَقُولُ: هَؤُلَاءِ يَأْتُونَ بِالشِّرْكِ الأَكْبَرِ، وَتَحْتَ أَعْيُنِكُمْ وَفِي بَيْتِ اللهِ، فَلِمَاذَا خَرَجْتُمْ إِذَنْ؟ يَقُولُونَ: لِنُعَرِّفَ النَّاسَ بِرَبِّهِمْ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ-، ثُمَّ نَحْمِلُهُمْ عَلَىٰ أَنْ يُصَلُّوا للهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- الصَّلَاةَ ذَاتَ الخُشُوعِ وَالخُضُوعِ.

حَسَنٌ؛ وَلَكِنْ عَلَىٰ أَيِّ شَيءٍ أُسِّسَ هَذَا؟! لَابُدَّ أَنْ يُؤَسَّسَ عَلَىٰ الحَقِّ.

عَلَيْكَ أَنْ نَنْظُرَ فِي الأُصُولِ، إِذَا مَا نَظَرْتَ فِي هَاتَيْنِ الجَمَاعَتَيْنِ خَاصَّةً، فَالسُّؤَالُ هُنَا: مَا هِيَ الصِّفَاتُ الَّتِي تَصِيرُ الفِرَقُ فِرَقًا مُخَالِفَةً لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ

المَنْصُورَةِ إِذَا تَوَفَّرَتْ فِيهَا؟

يَعْنِي: مَا هِيَ الصِّفَاتُ الَّتِي إِذَا مَا تَوَفَّرَتْ فِي فِرْقَةٍ مِنَ الفِرَقِ صَارَتْ فِرْقَةً مُبْتَدِعَةً مُخَالِفَةً لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ؟

ذَكَرَ الشَّاطِبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الاعتصام» (٣/ ١٧٧) كَثِيرًا مِنْ تِلْكَ الفِرَقِ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا تَصِيرُ فِرَقًا بِخِلَافِهَا لِلْفِرْقَةِ، فِي مَعْنًى كُلِّيٍّ فِي الدِّينِ، وَقَاعِدَةٍ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرِيعَةِ، لَا فِي جُزْئِيٍّ مِنَ الجُزْئِيَّاتِ، إِذِ الجُزْئِيُّ وَالفَرْعُ الشَّاذُّ، لَا يَنْشَأُ عَنْهُ مُخَالَفَةٌ يَقَعُ بِسَبَبِهَا التَّفَرُّقُ شِيَعًا».

فَالمُخَالَفَاتُ تَكُونُ فِي الأُصُولِ، لَا يُمْكِنُ بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ أَنْ تَجْتَمِعَ أَنْتَ -وَأَنْتَ مُوَحِّدٌ- مَعَ مَنْ يُلْحِدُ فِي الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، مَعَ مَنْ يَقُولُ: القُرْآنُ مَخْلُوقٌ، مَعَ مَنْ يَطْعَنُ فِي أَصْحَابِ الرَّسُولِ، مَعَ مَنْ يَسُبُّ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، مَعَ مَنْ يَسُبُّ أَنْبِيَاءَ اللهِ المُرْسَلِينَ، مَعَ مَنْ يُدَاهِنُ الرَّافِضَةَ وَيُوالِيهِمْ، مَعَ مَنْ يُحَادِدُ مَنْ يُقَرِّرُ تَوْحِيدَ الإِلَهِيَّةِ وَيَدْعُو إِلَيْهِ، هَذِهِ مُخَالَفَاتٌ فِي الأُصُولِ، لَيْسَتْ مُخَالَفَاتٍ فِي جُزْئِيَّاتٍ، يَعْنِي لَيْسَتْ فِي حُكْمٍ فَرْعِيٍّ، يَتَعَلَّقُ بِالأَحْكَامِ العَمَلِيَّةِ، وَإِنَّمَا هِيَ مِنَ المُخَالَفَةِ فِي أَصْلٍ كُلِّيٍّ مِنْ أُصُولِ الشَّرِيعَةِ.

الكُلِّيَّاتُ تَقْتَضِي عَدَدًا مِنَ الجُزْئِيَّاتِ غَيْرَ قَلِيلٍ، وَشَأْنُهَا فِي الغَالِبِ أَلَّا تَخْتَصَّ بِمَحَلٍّ دُونَ مَحَلٍّ، وَلَا بِبَابٍ دُونَ بَابٍ.

وَهُوَ مَا سَمَّيْتُهُ قَدِيمًا: بالانحِرَافِ المَنْهَجِيِّ، أو: المُخَالَفَةِ المَنْهَجِيَّةِ، أو: المُخَالَفَةِ فِي المِنْهَاجِ، يَعْنِي فِي الأَصْلِ، وَأَمَّا مَا يَكُونُ مُخَالَفَةً فِي مَسَائِلَ تَتَعَلَّقُ بِجُزئِيَّاتِ الشَّرِيعَةِ، لَا بأَصْلِ الدِّيَانَةِ، فَهُوَ الخَطَأُ العَارِضُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ مَنْ لَيْسَ بِمَعْصُومٍ؛ كَالصَّحَابِيِّ الَّذِي كَانَ يَشْرَبُ الخَمْرَ، ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِهِ، فَيُحَدُّ بَيْنَ يَدَي النَّبِيِّ ﷺ، مَاذَا قَالَ فِيهِ الرَّسُولُ ﷺ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ**»، وَقَالَ: «**لَا تُعِنِ الشَّيْطَانَ عَلَىٰ أَخِيكَ**»(١). فَهَذَا خَطَأٌ عَارِضٌ.

وَأَمَّا الآخَرُ الَّذِي اعْتَرَضَ، وَقَالَ: اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ**، [إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ]، **ثُمَّ قَالَ: يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»(٢).

هَذَا خِلَافٌ فِي المَنْهَجِ، فِي الأَصْلِ، هَذَا لَيْسَ بِخَطَأٍ عَارِضٍ، هَذَا انحِرَافٌ مَنْهَجِيٌّ خَطِيرٌ.

وَأَمَّا الخَطَأُ العَارِضُ، فَلَا يَنْجُو مِنْهُ إِلَّا المَعْصُومُ ﷺ.

وَعَلَيهِ؛ فَجَمَاعَةُ الإِخْوَانِ، وَجَمَاعَةُ التَّبْلِيغِ -وَقَد ضَربنَاهُمَا مَثَلًا- تُخَالِفَانِ فِي الأُصُولِ، وَانحِرَافَاتُهُمَا المَنْهَجِيَّةُ كَثِيرَةٌ صَارِخَةٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٩٨، ٦٣٩٩).

(٢) تقدم تخريجه.

www.menhaj.com

وَهُمَا لِذَلِكَ فِرْقَتَانِ مِنَ الفِرَقِ المُبْتَدِعَةِ، المُجَانِبَةِ للفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ، وَالطَّائِفَةِ المَنْصُورَةِ.

نَسْأَلُ اللهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- أَنْ يَهْدِيَنَا إِلَىٰ الحَقِّ، وَأَنْ يُقِيمَنَا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَقْبِضَنَا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَحْشُرَنَا فِي زُمْرَةِ أَهْلِهِ.

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ أَبَوَيهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَعَلَىٰ سَائِرِ الأَنبِيَاءِ وَالمُرسَلِينَ، وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

سُبك الأحد

الإثنين: ١٧ من المحرم ١٤٣٢

٢٣ من ديسمبر ٢٠١٠

وكتب

أبو عبد الله

محمد بن سعيد بن رسلان

-عفا الله عنه وعن والديه-

جامعة منهاج النبوة
www.menhag-un.com